الوطنية المنحرفة

الأرمن العثمانيون بين الثورة والسياسة

ك.س. بابازيان

الطبعة الأولى

١٤٤١ هـ - ٢٠٢٠ م

اسم الكتاب: الوطنية المنحرفة - الأرمن العثمانيون بين الثورة والسياسة

اسـم المؤلف: ك.س. بابازيان ترجـمة ودراسة: محمد علي ثابت

الموضـــوع: تاريخ

الـطـبـعـة: الأولى

رقم الإيـداع: ٩٧٨ _ ٦٠٥ _ ٦٩٧٤٢ _ ٠ - ٥ **I.S.B.N**

التوزيع والنشر

٦/١١ شارع وحيد أفندي – حي توفيق بك – كوجوك

جكمجه – أسطنبول – تركيات ٠٠٩٠٥٤٥٤٨٨٦٨٧٠

هاتف: ٠٠٢٠١٠٢٧٠١٣٣٢٦ – ٠٠٢٠١٥٥٥٥٦٦١٣٩

E-mail: info@arabhistorypublishing.com

Website: www.arabhisorypublishing.com

الوطنية المنحرفة

الأرمن العثمانيون بين الثورة والسياسة

ك.س. بابازيان

ترجمة ودراسة وتعليق

محمد علي ثابت

تقديم الدكتور

أحمد عبد الوهاب الشرقاوي

إهداء

إلى زوجتي ورفيقة الدرب
وعنوان الأمل في حياتي

تقديم

بقلم الدكتور

أحمد عبدالوهاب الشرقاوي

نحن خونة وأغبياء فاشلون.. لكننا أردنا الحكم الذاتي والاستقلال. تلك هي خلاصة هذه الوثيقة التاريخية شديدة الأهمية، وهذه الاعترافات الخطيرة التي أدلى بها قادة الأرمن السياسيين والكنسيين والثوريين في روسيا والقوقاز وفي الدولة العثمانية.

عاش الأرمن في كنف الدولة العثمانية نحو خمسة قرون، ونالوا مميزات دينية واجتماعية وإدارية بشكل رسمي عقب فتح العثمانيين القسطنطينية ١٤٥٣م، ثم توالت القوانين والتشريعات التي نظمت الدولة، وواكبت تطورها من دولة إقليمية إلى إمبراطورية عالمية؛ ولأنها كانت مكونة من أعراق شتى لم تجتمع من قبل -ولا من بعد- في كيان سياسي واحد، لكن ما تمتع به الرعايا من عدالة ومعاملة وحقوق؛ جعلهم يفضلون الحكم التركي على كل أمراء بني جلدتهم ودينهم؛ بل تطور الأمر إلى اعتناق الكثيرين الإسلام في عمق الولايات الأوربية.

وكانت هذه الألوان الكثيرة من الأعراق والأديان والمذاهب عبارة عن لوحة موزاييك رائعة الجمال، متناسقة الألوان، ولم تكن عبئًا إداريًا على الدولة بقدر ما كانت تنوعًا ثقافيًا وإنسانيًا انصهر في بوتقة الحضارة الإسلامية في عهدها العثماني، وواصل مسيرة العطاء.

ورغم ما وصلت إليه الأقلية الأرمنية من مكانة على كافة الأصعدة السياسية والاقتصادية والاجتماعية؛ حتى حازت لقب «ملت صادقة» أو «الأمة المخلصة» بما قدمته الدولة وأجهزتها من خدمات ورجال وإنجازات؛ إلا أن روسيا استخدمت الكثير من زعمائهم كوسيلة للقضاء على الدولة العثمانية من الداخل؛ سعيًا إلى تقسيم تركة «رجل أوربا المريض»، والوصول إلى المضايق والبحار الدافئة تحقيقًا لهدفهم الاستراتيجي منذ قرون، ولم تجد أيسر طواعية لتنفيذ مخططها من تجنيد الأرمن، وبث الأفكار الهدامة بين صفوف عامتهم بعد تجنيد قادتهم؛ حتى تحول معظم السكان الأرمن في المناطق الحدودية طابورًا خامسًا لروسيا القيصرية.

وكان للعصابات الأرمنية المسلحة -التي اتخذت أشكال أحزاب وجمعيات سياسية منظمة- دور كبير في تفجير الموقف باتخاذهم العنف المسلح سبيلاً لإرغام الدولة العثمانية على منحهم الحكم الذاتي أو الاستقلال، ووضعوا نصب أعينهم جذب انتباه أوربا للتعاطف مع قضيتهم، وذلك عبر ردود الأفعال المتوقعة والعنيفة من أجهزة الأمن العثمانية والرعايا المسلمين تجاه الأعمال الإرهابية لتلك العصابات المسلحة، بما يستثير أوربا وعواطف شعوبها المسيحية مع بني جلدتهم من الأرمن.

لكن أوربا وقادتها كان موقفهم براجماتي مثل روسيا تمامًا، فلم يكن الأرمن وقضيتهم المفتعلة سوى ورقة ضغط يستغلونها في الحصول على مكاسب لإضعاف الدولة العثمانية، وليس لنصرة عملائهم من الأرمن، وهو ما لم يقتنع به الأرمن؛ بأنهم مجرد بيادق في لعبة دولية، رغم تجاربهم السابقة مع روسيا القيصرية التي هاجروا إليها مرارًا مع انسحاب جنود القيصر من المدن العثمانية المحتلة في منتصف القرن التاسع عشر، وعوملوا في روسيا كمواطنين من الدرجة الثالثة، ورغم هذا لم ينقطع أملهم من تدخل المنقذ الروسي لتحريرهم من نير الأتراك، وازداد الأمر توغلاً في الخيانة عندما شارك كبار رجال الدين الأرمن في توجيه رسائل استعطاف للقيصر الروسي لإنقاذ أرمن تركيا.

ولم يقف الأمر عند ذلك؛ بل عمدت العصابات « الثورية « الأرمنية إلى توجيه ضرباتها إلى مواطنيهم الأرمن الأغنياء الرافضين لتمويل أنشطتهم، أو حتى أعضاء المنظمات الأرمنية المتحمسين للإصلاح والرافضين للعنف المسلح، وربما كانت هذه الحوادث أكثر عنفًا ودموية ووقوعًا من هجماتهم ضد القرى التركية، وكذلك القبائل الكردية، بغرض استفزازهم للقيام برد فعل انتقامي ضد السكان الأرمن، ومن ثَمَّ استغلال تلك الحوادث، ونشرها في صحفهم المنتشرة في عدة عواصم أوربية؛ لكسب تعاطف الأوربيين المسيحيين، وحكوماتهم المعادية للدولة العثمانية، ومن ثم التدخل لصالح الأرمن.

ثم كان التطور الكبير في النشـاط المسـلح للعصـابات الأرمنية عندما نقلت أنشـطتها إلى قلب العاصـمة اسـتانبول، في محاولة اغتيال السلطان عبد الحميد الثاني سنة ١٩٠٥م.

قد أكون مبالغا أو غير محايد في تحليل المسـألة أو قراءة الأحداث؛ لذا سـوف أكتفي هنا بنقل نصـوص من الكاتب الأرمني «بابازيان»، والذي اعتمد بدوره على مشـاهداته ومعاصـرته للأحداث وشـخصـياتها، ونقل أيضـا عن مؤرخين أرمن منحازين بالطبع لقضيتهم، وما قالوه هنا ليس اعترافات بالحقيقة ولا انحياز للموضـوعية، بل هو نقد ذاتي داخلي ناشـئ من تبادل الاتهامات ومحاولة التخلص من التبعات والنتائج الوخيمة التي جرتها عليهم الخيانة، خيانة الدولة العثمانية التي كانت وطنهم وموطنهم لقرون عديدة.

- عنوان الكتاب نفسه -كما اختاره المؤلف- دلالة واضحة على محتواه:

(الوطنية المنحرفة.. استعراض لأفعال وآثام
الاتحاد الثوري الأرمني أو ما يسمى
بـ «حزب الطاشناق»).

- وإهداء الكتاب أيضا دليل كبير على الخيانة المزدوجة:

«إهداء.. في ذكرى شهداء الأرمن الذين قادهم إخلاصهم لشعبهم وولائهم لبلدهم الأم أن يلقوا حتفهم على يد أشقائهم».

- وعن ازدواجية الولاء أو الانفصام في شخصية هؤلاء «الثوريين» الذي لا نجد له تفسيرا سوى النفعية المطلقة، يقول:

«كانت تكتيكات الاتحاد الثوري الأرمني الاستراتيجية هي: الهرب مع الفريسة والصيد مع الكلاب (To run with the hare and hunt with the hound).

- وأما الدليل القاطع على خيانتهم وإرهابهم ح فهو برنامج الحزب المعتمد لديهم والمطبوع والمعلن في مؤتمرهم العام:

«لقد اعتمد الإرهاب، من البداية، كسياسة أو وسيلة لتحقيق غاياتها»

«تم اللجوء إلى هذه الأساليب الإرهابية من أجل الحصول على المال لتمويل الحركات الثورية في الأراضي التركية»

- وتحت عنوان «الوسائل» (Means)، في برنامجهم المعتمد في عام ١٨٨٢، نقرأ التالي:

« إخضاع المؤسسات الحكومية للتدمير والنهب»

- ويواصـــل بابازيان إيراد مقتطفات من مؤرخين أرمن حول إرهاب كل المنظمات والجمعيات والأحزاب الأرمنية، فيقول:

«تأسـيسـا علـى محتوى تاريخ الاتحاد الثوري الأرمنـي الذي كتبه فاراندیان، فإن منظمة الطاشـــناق كانت غزيرة الإنتاج فيما يتعلق بتنظيم وتنفيذ الأعمال الإرهابية، ويبدو أن الإرهاب ضـــد رعاياهم كان جزءا بارزا من الأنشـــطـة الثورية لقادة الطاشناق»

«لقد جرب حزب الهانشاك نفس الأسلوب في الأعمال المثيرة والمعارك المتفرقة في القسطنطينية وساسون وزيتون، وأماكن أخرى، وفشل أيضا في تحقيق التدخل الأوروبي. لذلك تخلى (الهانشاك) عن هذه الأساليب باعتبارها عقيمة ومضرة».

- وهو هنا يضـــيف اتهاما آخر إلى أكبر فصـــيل في الحركات الأرمنية (الاتحاد الثوري الأرمني) وهو الغباء الشـــديد، أو ربما التبعية مدفوعة الأجر:

«.. لكن الاتحاد الثوري الأرمنـي اعتقد أنه ســينجح حيث فشـــل الآخرون. وتبعا لذلك قرر الطاشناق أن يحملوا المعركة إلى العاصمة التركية وعمل تحركات يكون من شـأنها أن تهز عرش السلطان، وأن تتسبب في تدخل القوى الأوروبية وإجبار الحكومة التركية على تنفيذ الإصـــلاحات الموعودة للمحافظات الأرمنية، بموجب المادة ٦١ من معاهدة برلين.»

- فحقيقة المذابح الأرمنية أن الجماعات الأرمنية هي التي دبرتها ونفذتها في عهد السلطان عبد الحميد الثاني، وبعد ذلك أيضا:

«لم يكن الطاشناق ليتعلموا أي دروس من تجارب الآخرين. كان مذهبهم هو أن الحرية يتم كسبها عن طريق إراقة الدماء فقط، وأنه كلما استُفز السلطان لعمل مذابح للشعب الأرمني، كلما كانت مطالباتنا بالحكم الذاتي أقوى، وكلما أصبح الأمل في التدخل الأوروبي أكبر».

- ورغم أن هؤلاء القادة والثوار قد ثابوا إلى رشدهم بعض الوقت في عهد حكم (الاتحاد والترقي)، إلا أن الخيانة والتبعية دمرت كل أمل لهم في الاستقلال أو الإصلاح أو حتى بقاء دولتهم العثمانية بعيدة عن مخاطر الاحتلال والانهيار:

«رغم أن حزب الطاشناق كان مكرسا نفسه من أجل التحرير الأرمني فإنه نبذ المبادرات التي طرحها عليه القادة الأتراك الشباب في أوروبا كي يتعاون في الإطاحة بطغيان عبد الحميد. ثم بعد أن بدأوا في ممارسة السياسة الرفيعة، توصلوا إلى تفاهم مع الثوار الأتراك»

«بعد ثورة تركيا الفتاة في يوليو ١٩٠٨، عندما ظهر حزب الطاشناق لأول مرة في تركيا بشكل علني وكحزب سياسي قانوني، وأعلن الأتراك الشباب الحكومة الدستورية؛ تم تخصيص عدد قليل من المقاعد لزعماء الطاشناق في برلمان الدولة العثمانية»

«عندما اندلعت الحرب العالمية في أوروبا، بدأ الأتراك الاستعدادات المحمومة للانضمام إلى الألمان. في أغسطس ١٩١٤، ثم في جلسة في أرضروم، الأتراك الشبان طالبوا مؤتمر الطاشناق بتنفيذ اتفاقهم القديم المبرم عام ١٩٠٧، والبدء في انتفاضة بين أرمن القوقاز ضد الحكومة الروسية. ورفض حزب الطاشناق القيام بذلك، وقدم تأكيدات بأنه: «في حالة الحرب بين روسيا وتركيا، فإنه سيدعم تركيا كرعايا مخلصين لها، لكنه من ناحية أخرى، لن يكون مسئولاً عن الأرمن الروس».

- ويؤكد بابازيان على الخيانة العظمى التي ارتكبها الأرمن ضد دولتهم العثمانية بالعمل كطابور خامس مع دولة معادية وفي حالة حرب هي روسيا، وهنا نقطة شديدة الأهمية، إن الخيانة لم تكن فقط من أرمن القوقاز، بل من أرمن تركيا، وكل الأرمن الذين انساقوا وراءهم:

«لكنهم جنحوا في تصرفاتهم إلى مصالح الحكومة الروسية، وتجاهلوا تمامًا الأخطار السياسية التي خلقتها الحرب للأرمن في تركيا»

«توافد الآلاف من الأرمن من جميع أنحاء العالم، متمثلين ومقتدين بالمقاتلين المشهورين أمثال أندرانيك وغيره (من أبطال الأرمن). وقدم نظام المتطوعين الأرمن خدمات قيّمة للجيش الروسي في الأعوام ١٩١٤-١٩١٦. ومع ذلك، فإن أعمالهم البطولية والدماء التي أراقوها في غزو أرمينيا التركية إلى جانب روسيا، لم تساعد القضية الأرمنية»

- وها هو البطل الأرمني المزعوم، وقد كان عضوا في مجلس المبعوثان (البرلمان) العثماني في عهد الاتحاد والترقي، يعلن الخيانة العظمى:

«فر أحد زعماء الطاشناق وهو «أرمن جارو»، الذي كان أيضًا عضوًا في البرلمان التركي، إلى القوقاز وشارك بنشاط في تنظيم أفواج المتطوعين لمحاربة الأتراك ونشرت صورته بالزي العسكري على نطاق واسع في صحف الطاشناق»

- وكان جزاء سنمار هو جزاء الأرمن، ليس من روسيا وحدها، بل من كل دول أوربا وغيرها من المشاركين في مؤتمرات الصلح والسلام وتقسيم غنائم الحرب:

«لم يسلم الروس المقاطعات التي فتحوها في أرمينيا إلى الأرمن؛ وبعد الثورة الروسية تخلى جيشهم عن الجبهة كلها وتركها دون دفاع أمام الأتراك»

- حتى عندما أتيحت الفرصة الذهبية للأرمن وأحزابهم، وانهارت الدولة العثمانية، ونالوا استقلالا تاما، كان الفشل حليفهم بعدما تخلى عنهم الحلفاء وتخلوا هم عن الحلفاء:

«إعلان استقلال أرمينيا الروسية، وهو ما اعترف به الأتراك في يونيو ١٩١٨، بموجب معاهدة باطوم»

«ووجد حزب الطاشناق نفسه ممتطيا صهوة الفرس. وتم تشكيل وزارة وبرلمان، حيث كان للطاشناق الأغلبية الساحقة»

- وهو ما اعترف به كاتشـازنوني، رئيس وزراء جمهورية أرمينيا السابق، في كتابه أو تقريره الخطير المقدم إلى الحزب:

«في أرمينيا لم يكن هناك برلمان؛ لقد كان شكلاً فارغًا دون محتوى»

«لم يستطع الحزب الحفاظ على كرامة الحكومة ضد الممثلين الأجانب. فكان مجرد جنرال بريطاني في «يريفان» يُملي على رئيس الوزراء بطريقة غاية في الإهانة»

* * *

كانت تلك بعض مقتطفات تلخص مسيرة القضية الأرمنية وتاريخها، بلسان مؤرخيها والمتعصبين لها، وهي كلها شاهدة على تاريخ من الغباء السياسي والخيانة وانعدام الوطنية، لدى قادة قادوا شعبهم بالوهم والتبعية نحو الهاوية.

ورغم ذلك ما يزال الجميع يكابرون بادعاء البطولات الوهمية، ويختلقون المظالم التي يتكسبون من ترديدها، ولا يعون أنهم كانوا وما يزالوا ألعوبة في أيدي دول تتاجر بقضيتهم ولا تلتفت أبدا إلى مصالحهم.

أحمد الشرقاوي

استانبول – ١٢ نوفمبر ٢٠١٩

* * *

تمهيد

الكتاب الذي ألفه ك. س. بابازيان في أوائل القرن العشـــرين، كان محاولة قوية منه للفت الأنظار إلى الجهة الحقيقية المســئولة عن المصـــائب التي ألمت بالشعب الأرمني، خلال نهاية القرن التاسع عشر وبدايات القرن العشرين.

كان الغرض الأصـــلي للمؤلف أن يقدم الكتاب للشـــعب الأمريكي صـــورة واضحة وواقعية عن تنظيم الاتحاد الثوري الأرمني، أو ما يُعرَف أيضا بحزب الطاشـــناق، لكن الكتاب أصـــبح مرجعا لكل باحث عن الحقيقة، وهو ما دفعني نحو ترجمته تيســيرا للقارئ العربي وحتى لا يكون حكرا فقط على الناطقين أو القارئين للإنجليزية.

أكثر من مئة عام مرت على بدء الحرب العالمية الأولى ووقوع ما يســـمى بمذابح الأرمن في تركيا العثمانية؛ ولا زالت تثور تســـاؤلات يطرحها أطراف عقلانية من كل جانب، هذه التساؤلات تتوافق في محصلتها على أسئلة قليلة قد تقود إلى فهم جيد لمشـــكلة أوارها يســـتعر ويزداد لهيبها كل عام في ذكرى وقوعها. ورغم تباعد تلك الأطراف فكريا وعقائديا، إلا أن اســـتعمال العقل والمنطق يقود غالبا إلى توافق في الطرح بين الفرقاء دون اتفاق بينهم.

لماذا الأرمن تحديدا وفقط هم من وقعت بحقهم تلك المذبحة المزعومة؟ ومن المستفيد منها؟ وكيف جرت تلك الأحداث بهذه الصورة في مناطق ينشط بها ميليشيات -بل جيوش- قوية وحديثة التسليح ومدعومة من دول قوية مثل روسيا القيصرية والإمبراطورية البريطانية وفرنسا الاستعمارية، ولم يتدخل أحد لمنع كل تلك المجازر الشنيعة التي استغرقت أحداثها وقتا طويلا؟

أسئلة مشروعة وبديهية نحاول أن نقدم لها إجابة من خلال كتابات من عاصروا الأحداث وكانوا ضمن القادة المشهورين.

بداية... يوجد حول العالم الآلاف من الشعوب والقوميات والعرقيات تتشكل وتنتظم داخل ١٩٦ دولة، منها ١٩٣ دولة عضو في الأمم المتحدة. وأكثر من ٩٥% من دول العالم يمكن اعتبارها مجتمعات متعددة الجنسيات، كثير من هذه الشعوب والقوميات لا تقبل أو توافق على الحكومات المركزية التي تحكمها؛ وتتمنى لو نالت استقلالا أو حكما ذاتيا، وتسمع منهم – غالبا - الكثير عن تعرضهم للقمع والاستغلال والمعاملة التمييزية والقاسية من جانب الحكومة المركزية التي يمسك مقاليد الحكم فيها فئة معينة من المجتمع الكبير.

كذلك يجب أن نتفق على حقيقة أثبتها التاريخ؛ وهي أن الدولة هي أكثر وأفضل صور التنظيم الاجتماعي والاقتصادي والعسكري التي ابتكرها البشر كفاءة؛ لتحقيق غاية الأمن والحماية ضد تغول الأقوياء وتوسع المجتمعات الكبيرة المتوحشة. **وأنه** في داخل الدول التي تحتوي بين جنباتها على فسيفساء عرقية أو دينية متعددة؛ يمثل التوافق والتواؤم والتعايش المشترك أرضية صلبة تحفظ بقاء الدولة، وغراءً قوي يجمع شتات وأقسام المجتمع؛ ويصنع التماسك المجتمعي.

وفكرة المجتمع (Society) تعني أن مجموعة أو تجمع من الناس يعيشون سويا بطريقة منظمة؛ يتشاطرون ويشتركون سويا في اتخاذ القرارات التي تتعلق بسير حياتهم والأعمال التي على الجميع تأديتها للحفاظ على هذا المجتمع. وبالتبعية كل قاطني الدولة هم مجتمع يسمى باسم الدولة ويشار إليه بشعبها، وتشترك معاجم اللغة العربية في تعريفها للمجتمع أنه «فئة من الناس تشكل مجموعة تعتمد على بعضها البعض». هذا الاعتماد المذكور هو ما يقود إلى ما أشرنا إليه بالتماسك المجتمعي.

وعندما تجنح إحدى مكونات المجتمع - القاطن للدولة - إلى كسر هذا التماسك وتلك الأرضية عبر الخروج عن التعايش السلمي والتوافق الإنساني، أو بالدعوة للانشقاق والانفصال بقطعة من الأرض تقيم عليها دويلة مستقلة. أو أن تعمل على فرض فكرتها الخاصة ورؤيتها لنظام الدولة؛ أو قناعاتها وتصورها الفردي للتعايش؛ تصنع بفعلها هذا تهديدا حقيقيا لباقي مكونات المجتمع؛ وخطرا يهدد بقاء الدولة ووحدة شعبها.

والشـــائع المقبول في حـالـة التعـدد العرقي أو الثقـافي والـديني أن يميـل الأشـخاص المشـتركون في ذلك إلى اتباع ما يطلق عليه «سـياسـات الهوية» (Identity Politics) أي تشـكيل تجمعات سـياسـية ومجتمعية خاصـة؛ تكون حصـرا على أهل ذلك العرق أو تلك الهوية الثقافية، مع عدم الابتعاد في الوقت ذاته عن المشـاركة أو الانخراط في الأنشـطة المجتمعية والثقافية والسـياسـية لباقي المجتمع. واتخاذ سياسـات هوية محددة بالشكل السـابق لا غبار عليه، بل هو من الظواهر الصحية المعتبرة في المجتمعات التعددية.

لكن في بعض الحالات المرضـية تصـبح تلك التجمعات أو الجماعات أداة لإثبات الاختلاف والإيهام بعدم القدرة على الاندماج مع مجتمع الدولة، أو تكون منصـة لإطلاق ادعاءات بوقوع التهميش أو الظلم والاضـطهاد سـواء الديني أو العرقي أو الثقافي، والمعاناة الناشئة عن عدم المساواة الاجتماعية وتحيز النظام السياسي وقمعه لتلك الفئة العرقية أو الدينية.

قد يحدث أحيانا - وخاصـة في دول العالم الثالث - أن تقع بعض أو كل تلك المظالم على فئات بعينها. ورغم ورود حدوث ذلك فإن المشـكلة قد تكمن في تصـرف الجماعة العرقية لإثبات مظلمتها، أو تحصـيل ما تسـميه بحقوقها المشروعة.

فالمفترض أن الغاية المشروعة لابد من الوصول إليها بسبيلٍ مشروعٍ أيضا؛ وليس بالمبدأ الماكيافيلي[١] الانتهازي «الغاية تبرر الوسائل».

ومن الوسائل الغير مشروعة أو الوضيعة في هذا السياق؛ محاولة إضعاف الخصم - وهو في هذه الحالة الدولة التي تحكم الأرض ويدين لها بالولاء غالبية الشعب - عن طريق التحالف مع عدوه أو إثارة الاضطرابات والقلاقل داخل الوطن الأم لتحقيق المصالح السياسية الضيقة لحزب أو فئة أو حتى للجماعة العرقية كلها.

سواء أكان هذا التصرف من أقلية صغيرة بالدولة أو كبيرة، وسواء كان تحت ضغوط حقيقية أو متوهمة، أو إغراء الحصول على مصالح ذاتية لتلك الأقلية. أو بإغراءات من أطراف أخرى من مصلحتها انهيار هذه الدولة الكبيرة بمكوناتها المتعددة؛ فإن تصرف تلك الأقلية يصبح تهديدا حقيقيا لباقي السكان، ويدفع أي دولة أو نظام يرجو ويعمل للحفاظ على وحدة دولته؛ إلى اتخاذ إجراءات جادة للتعامل والتصدي لتلك التصرفات.

---

(١) نيكولو دي برناردو دي ماكيافيلّي كان مفكرا وفيلسوفا سياسيا إيطاليا إبان عصر النهضة، وكانت له مقولات اتخذها الساسة المخادعون نبراسا لهم مثل «الغاية تبرر الوسيلة»، «إن الدين ضروري للحكومة لا لخدمة الفضيلة ولكن لتمكين الحكومة من السيطرة على الناس»، لا ينبغي على الأمير التردد في إظهار القسوة للإبقاء على رعاياه متحدين».

بالطبع ردود أفعال الدولة وإجراءاتها تجاه محاولات الأقليات الانفصـــالية؛ تعكس مدى الرقي الفكري والتقدم الحضـاري الذي يسود تلك الدولة. لكن أيضـا صـرامة وحزم هذه الردود والإجراءات بدورها تخضـع لوقت وظروف حدوث المشــكلة، ففي وقت السـلم لا يمكن أبدا أن يقبل أحد باتخاذ إجراءات عنيفة أو صـارمة تجاه الدعوات الانفصـالية –السلمية- دون أن يسبقها أشواط طويلة من التفـاوض ومحـاولات إيجـاد حلول ســلميـة وإنســـانيـة تحفظ الأرواح والـدمـاء والأموال.

في وقت الحرب وحينما تتحول الدعوات الانفصـــالية والتمرد على الدولة، من جانب فئة أو أقلية أو مكون من مكونات الدولة، إلى سلاح قوي يطعن الدولة في خاصـرتها، فهنا لا يمكن لعاقل أن يجنح للسلم أو أن يمد يده بغصن الزيتون لمن يقف شاهرا السلاح في وجهه ويطلق النيران على أهله.

في عام ١٩٠٦ تأسست جمعية الاتحاد والترقي في تركيا، وانضم إليها كثير من أعضاء حركة «تركيا الفتاة» ومعظمهم من ضباط الجيش الطموحين. وفي عام ١٩٠٨ استولى الضباط على السلطة في الدولة بانقلاب بقيادة أنور باشا[١] الضابط في القوات المسلحة العثمانية، وأزاحوا السلطان عبد الحميد الثاني.

كانت الدولة العثمانية في بدايات القرن العشرين تحتضر وتنهار، أطراف كثيرة من بلاد غالبية سكانها من المسلمين تُقتطع وتضم بالقوة إلى دول مسيحية. البوسنة والهرسك تضمهما النمسا والمجر، ليبيا وجزيرتي رودس وكوس[٢] تستولي عليها إيطاليا، ودول البلقان تضيع من يد العثمانيين وينتهي وجود الإمبراطورية القوية في أوروبا.

---

(١) قائد عسكري بدأ في الجيوش العثمانية، ثم أصبح أحد قادة حركة تركيا الفتاة المناهضة للسلطان العثماني وبعدها انضم لحزب الاتحاد والترقي. والجدير بالذكر أنه شارك في الانقلاب على السلطان عبدالحميد عام ١٩٠٨ بعد مرور خمس سنوات فقط على تخرجه من الكلية الحربية العثمانية عام ١٩٠٣، وعين نفسه وزيرا للحربية عام ١٩١٣ رغم صغر سنه، وكان أحد ثلاثة باشوات يحكمون تركيا، وهو صاحب الدور الأساسي في توريط تركيا في الحرب العالمية الأولى متحالفا مع الألمان، وبعد هزيمة بلاده في الحرب وضياع الإمبراطورية العثمانية نهائيا هرب إلى ألمانيا مع رفيقيه طلعت باشا وجمال باشا إلى ألمانيا.

(٢) **رودس** هي جزيرة في البحر الأبيض المتوسط تقع بالقرب من الساحل الجنوبي لتركيا، وكانت تتبع الدولة العثمانية سابقا وهي يونانية حاليا، وتعرف الجزيرة تاريخياً بكونها موقع تواجد تمثال أبولو رودس سابقاً، وهو أحد عجائب الدنيا السبع. أما جزيرة **كوس** فتقع على بعد ثمانية كيلومترات عن شبه جزيرة هاليكارناسوس التابعة تركيا، وكوس تابعة لليونان حاليا وضمن إقليم بحر إيجة.

كان قادة الانقلاب وعلى رأسـهم الباشـوات الثلاثة (أنور وطلعت وجمال)، يطمحون إلى تأسيس إمبراطورية جديدة تحت سلطتهم تعيد ضـم أملاك الدولة العثمانية السـابقة وتسـيطر على العالم. لكن طموحاتهم وخطبهم الرنانة كانت أعلى بكثير مما يمتلكونـه فعليا من مهارة عسـكرية أو قدرات قتالية، أو حتى معرفة وتقدير لمدى خطورة اتخاذ القرارات المصـيرية، وخاصـة إقامة التحالفات وخوض المعارك وصناعة الأعداء.

دخل الباشوات الضباط في تحالف مع ألمانيا في أغسطس ١٩١٤، ودخلت تركيا الحرب العالمية الأولى وهي في أسوأ حالاتها اقتصاديا وعسكريا وإداريا، فالحروب المتعددة استنزفت الموارد العسـكرية والمالية. والانقلاب على السـلطان واسـتصـدار فتوى تؤيد ذلك من مفتي السـلطنة تحت تهديد السـلاح، اعتبره الكثير من علماء المسـلمين خروجا على حاكم الخلافة، وتمرد غير شرعي. ونادى الشيوخ بعدم طاعة المتمردين الخارجين، وانتفاء شرعية ولاية السـلطان الجديد (المؤقت) الموضـوع على العرش جبرا، مما أدى إلى زعزعة الموقف العثماني الحاكم داخل أطراف الدولة الإمبراطورية.

كما أدى إهمال الولايات (الدول) التابعة للسلطنة – بسبب الانشغال بالأوضاع الجديدة والفوضى داخل تركيا - إلى نشر الاضطرابات والتمرد والرغبة في الانفصال عن الإمبراطورية الواسعة، وحرمها من موارد ضخمة كانت تُجبى إليها من مختلف ولاياتها.

ثم كان الدخول في تحالف مع قوة خارجية هو الحل البراق الذي لمع في عقول القادة، اختاروا الركون إلى جانب واللوذ به حتى يمكن حماية الإمبراطورية من التمزيق على يد الحلفاء المتربصين بها. ويعبر عن ذلك وزير الداخلية العثماني طلعت باشا في مذكراته « إن تركيا بحاجة إلى الانضمام إلى إحدى مجموعات البلاد (الأحلاف) حتى تتمكن من تنظيم إدارتها المحلية وتعزيز التجارة والصناعة فيها والمحافظة عليها، وتوسيع خطوط السكك الحديدية الخاصة بها، باختصار من أجل البقاء والحفاظ على وجودها»[١].

لم يكن التحالف مع روسيا القيصرية موضوعا في الحسبان أو مطروح نهائيا، فروسيا خصم سياسي وعسكري قديم ويشكل خطرا على وجود الدولة العثمانية والتركية برمتها. ومحاولات القياصرة للهيمنة على الدول التابعة للإمبراطورية العثمانية لا تنفك تتابع باستمرار. والأهم أن روسيا كانت متحالفة مع فرنسا، والأخيرة هي وبريطانيا كانتا تسعيان باستماتة لاحتلال الولايات العثمانية الغنية في شمال أفريقيا والهلال الخصيب وغيرها.

(١) Ottoman History, Germany–Turkey relations.

لذلك لم يكن هناك مجال للتحالف مع لندن أو باريس، ولا يتبقى من الدول الكبرى وقتها سوى ألمانيا التي أظهرت اهتمامها وترحيبها بالتحالف مع تركيا العثمانية لكسب أوراق كبيرة في الصراع والمنافسة الدولية، ومواطئ أقدام هامة تساعد في الحرب ضد أعداء الدولة الألمانية.

في بداية الحرب العالمية الأولى بدأ الأرمن الأتراك تمردا مسلحا ضد الدولة العثمانية التي يعيشون بها منذ قرون ويحملون جنسيتها، واختاروا التحالف مع التكتل الذي يحارب الدولة، وأعلنوا صراحة أنهم يريدون العمل والمساعدة على تدمير الدولة العثمانية وإقامة دولة مستقلة لهم على قطعة من أراضيها. كانت هناك محاولات متعددة من قادة الدولة التركية الناشئة لإثنائهم عن تمردهم ومنحهم حكما ذاتيا، لكنهم اختاروا التمرد المسلح.

في منتصـف فبراير ١٩١٦ وقعت أسـوأ مذبحة – كما يسـميها سـتانفورد شو[١] أستاذ التاريخ بجامعة كاليفورنيا، لوس أنجلوس - بحق الأتراك المسلمين أثناء عملية الاحتلال الروسي لشرق الأناضول[٢]. حيث أضطر أكثر من مليون شـخص من الفلاحين والرعاة الأتراك العزل على الفرار بعيدا عن أيدي القوات الروسـية (المدعومة بالأرمن). معظم هؤلاء المدنيين ذُبحوا ولم يسـتطع الجيش التركي مسـاعدتهم، بعد فشـل هجومه المضـاد لاسـتعادة منطقة أرضـروم بسـبب نقص الامدادات.

بينمـا المـدنيين الأرمن الموجودين بالمنطقة كانوا قد تم إجلاؤهم سـلفا إلى سوريا أو انتقلوا وراء الخطوط الروسية،

(١) سـتانفورد شو مؤرخ أمريكي ولد عام ١٩٣٠ وتوفي عام ٢٠٠٦، واشتهر بكتاباته وبحوثه حول تاريخ الإمبراطوريـة العثمـانية خاصـة في أواخر حياتها وبدايات الجمهورية التركية، تخصـص في التاريخ البريطاني وتاريخ الشـرق الأدنى والشـرق الأوسـط، ودرس اللغات العربية والتركية والفارسية، وله جولات دراسية وبحثية في مصر والتقى بالرئيس جمال عبدالناصر الذي سهل له الحصول على الوثائق العثمانية الموجودة بمصر. حصل على الدكتوراه من جامعة برينستون وكانت رسالته بعنوان «التنظيم المـالي والإداري والتنميـة في مصـر العثمـانيـة، ١٥١٧-١٧٩٨». ودرس سـتـانفورد بالجامعات الأمريكية وجامعة بيلكنت (Bilkent) بأنقرة.

بالطبع لكل ما سـبق آثرت أن أنقل عن سـتانفورد شـو بعض ما ذكره من حقائق موضوعية في النقاط التي سـقناها في هذا التمهيد، وانتقيها من كتابه تاريخ الإمبراطورية العثمانية التي قضى سنوات طوال يُعد فيه، ويتحرى البحث والتدقيق حتى أخرج كتابا موسوعيا في هذا المضمار.

(٢) سـتـانفورد شـو، تـاريخ الإمبراطوريـة العثمانية وتركيا الحديثة، المجلد الثاني: الإصـلاح والثورة والجمهورية: صعود تركيا الحديثة، ١٨٠٨-١٩٧٥، ص ٣٢٢، ٣٢٣. بتصرف.

لتجنب الوقوع بين القوات المتحاربة. وواصـــل الروس حملتهم وقطعوا طريق ســيفاس– أرضـــروم قبل أن يلحق بهم الشـــتاء القارص ويجبرهم على التباطؤ. كان الأرمن قد انضموا للقوات الروسية، وجرت حملة دشنها الأرمن المنتشرين حول العالم، بتنظيم وإرسال كتائب المتطوعين للانضمام إلى الجهود المبذولة لتطهير شـــرق الأناضـــول من الأتراك حتى يمكن إقامة دولة أرمنية مستقلة على جزء من الأراضي التركية.

كان أنور باشـــا بمجرد أن أصـــبح وزيرا للحرب وقائدا للجيوش التركية آنذاك قد بدأ في تقوية الجيش الثالث، ومقره في أرضـــروم التي تغطي كامل منطقة شمال الأناضول من بحيرة فان إلى البحر الأسود؛ وبالتالي كان مستعدًا، تقريبًا، للهجوم بمجرد إعلان الحرب. وبذل أنور باشا جهدًا أخيرًا لضمان دعم الرعايا الأرمن للسلطان والدولة، لكن اجتماعًا في أرضـروم مع زعماء أرمن من روســيا بالإضـــافة إلى أرمن الإمبراطورية العثمانية لم ينجح. فقد كانت روسيا بالفعل قد وعدت الأرمن بدولة مستقلة لهم، تشمل وتتضمن المناطق الخاضعة للحكم الروسـي في القوقاز؛ ليس ذلك فقط، ولكن أيضًا أجزاء كبيرة من شرق الأناضول.

الزعماء الأرمن أبلغوا أنور باشا أنهم يريدون فقط أن يظلوا محايدين، لكن تعاطفهم مع الروس كان يبدو واضحًا للعيان. في الواقع بعد فترة وجيزة من الاجتماع «تسلل العديد من الأرمن الأتراك البارزين - بما في ذلك عضو أرمني سابق في البرلمان العثماني، إلى القوقاز للتعاون مع المسؤولين العسكريين الروس- «كان يبدو أن الأرمن سيبذلون كل ما في وسعهم لإحباط العمل العسكري والجيش العثماني.

لكن أنور باشا كان لا يزال مقتنعا أن قوات الأمن العثمانية قوية بما يكفي لمنع أي تخريب قد يقوم به الأرمن، وكانت الاستعدادات لشن الهجوم في فصل الشتاء. في الوقت نفسه، جاء القيصر نيكولاس الثاني بشخصه إلى القوقاز لوضع الخطط النهائية للتعاون مع الأرمن ضد العثمانيين، وصدر بيان من رئيس المكتب الوطني الأرمني في تيفليس، ردًا على قدوم القيصر، يقول فيه:

«من جميع البلدان، يهرع الأرمن للدخول في صفوف الجيش الروسي المجيد، بازلين دمائهم لخدمة انتصار القوات العسكرية الروسية.... ليرفرف العلم الروسي خفاقًا فوق الدردنيل والبوسفور. ولتسمحوا - بإرادتكم السامية - يا جلالة الملك العظيم للشعوب التي لازالت تحت النير التركي أن تنال حريتها. دعوا الشعب الأرمني في تركيا الذي عانى من أجل إيمانه بالمسيح، أن يُبعث من جديد في حياة حرة تحت حماية روسيا».

وتدفق الأرمن مرة أخرى إلى الجيوش القيصرية، وعاد القيصر إلى سان بطرسبرغ واثقًا من أن الوقت أخيرا قد حان للوصول إلى اسطنبول. كانت الحملة الروسية مصحوبة بتمرد أرمني مفتوح ضد تركيا.

في المراحل الأولى من حملة القوقاز رأى الروس أن أفضل وسيلة لتنظيم الحملة ستكون عن طريق إجلاء المدنيين الأرمن من الجانب الروسي من الحدود؛ لتطهير المنطقة من أجل المعركة. ومع ذهاب الأرمن بعيدا عن الحدود الروسية، اتبع أنور باشا هذا المثال لإعداد الجانب العثماني من الحدود ولمقاومة الغزو الروسي المتوقع.

ساهم في قرار الترحيل إعلان القادة الأرمن في روسيا وقتها دعمهم الصريح لعدو تركيا الأول، ولم يكن هناك بديل آخر أمام الأتراك، فسيكون من المستحيل ردع أي من الأرمن أو منعه من اتباع نداءات قادته والإخلاص لها.

بمجرد حلول فصل الربيع وفي منتصف مايو ١٩١٥ صدرت أوامر السلطات العسكرية التركية بإجلاء جميع السكان الأرمن من مقاطعات فان وبيتليس وأرضروم، لإبعادهم عن جميع المناطق التي قد يقوضون فيها الحملات العثمانية المنطلقة ضد روسيا أو ضد البريطانيين في مصر. مع اتخاذ الترتيبات لتوطينهم في البلدات والمخيمات المقامة في منطقة الموصل شمال العراق.

بالإضـــافة إلى ذلك، كان من المقرر إرســـال الأرمن المقيمين في الريف (وليس أرمن المدن)، في مناطق قيليقية وكذلك في شـــمال ســـوريا إلى وســـط ســوريا لنفس السـبب. وصـدرت تعليمات محددة للجيش التركي لحماية الأرمن المرحلين من الهجمات البدوية، وتزويدهم بما يكفي من الغذاء واللوازم الأخرى لتلبية احتياجاتهم خلال المسيرة، وبعد أن يتم توطينهم.

وجرى إرسال التحذيرات إلى القادة العسكريين العثمانيين للتأكد من أنه لا الأكراد ولا أي مسلمين آخرين قد يستغلوا هذا الوضع من أجل الانتقام لسنوات طويلة من الإرهاب الأرمني ضـــدهم في تلك المناطق. كان يجب حماية الأرمن ورعايتهم إلى أن يعودوا إلى ديارهم بعد الحرب. وكان على الجيش التركي أن يحرس المُبعدين وممتلكاتهم أثناء عبورهم الأراضـــي العثمانية في العراق وسوريا، وكذلك أن توفر الحكومة الموارد لعودتهم بمجرد انتهاء الأزمة.

في أبريل ١٩١٥ - وحتى قبل إصـــدار أوامر الترحيل - قام أعضـــاء في حزب الطاشـــناق من أرمينيا الروســـية بتنظيم تمرد في مدينة فان، التي كان يقطنها ٣٣٧٨٩ أرمنيًا يمثلون ٤٢،٣ في المائة من السكان، وهي المدينة الأكثر تعدادا للأرمن من أي مدينة أخرى في الإمبراطورية العثمانية.

وحاول الزعماء الأرمن المحليون كبح جماح أتباعهم، مدركين أنهم أكثر من سيعانون في حال الدخول في أي صراع عقائدي طويل الأمد مع الأغلبية المسلمة. لكن مع ذلك فقد طغى عليهم المحرضون من الشمال الروسي، الذين وعدهم القيصر بتقديم مساعدات عسكرية روسية؛ إذا أظهروا ولاءهم الخالص للجيش الروسي والقيصر فقط؛ عن طريق المساعدة في طرد المسلمين. كما أن الجيش الروسي في القوقاز كان قد شرع في شن هجوم على «فان» بمساعدة من قوة كبيرة من المتطوعين الأرمن؛ الذين تم تجنيدهم من بين اللاجئين من الأناضول وكذلك سكان القوقاز المحليين.

في ٢٨ أبريل ١٩١٥ غادر جيش القيصر الروسي يريفان متوجها إلى فان. وبمجرد وصولهم إلى المدينة في ١٤ مايو ١٩١٥ - أي بعد يوم واحد فقط من صدور أوامر الترحيل في إسطنبول وقبل فترة طويلة من وصول أخبار تلك الأوامر إلى شرق الأناضول - نظم الروس والأرمن ونفذوا مذبحة عامة للسكان المسلمون المحليون خلال اليومين التاليين لوصولهم، في ذات الوقت الذي اضطرت فيه الحامية التركية العثمانية الصغيرة بالمدينة إلى التراجع إلى الجانب الجنوبي من بحيرة فان. كان الأمر متفقا عليه بينهم مبكرا، ولم يكن صدور أوامر الترحيل أو وصول أخبارها لا يعني الكثير أو سيغير شيئا، فلم يكن الأرمن ينتظرون شيئا جديدا ليظهروا ما أضمروه في أنفسهم ضد جيرانهم وسكان مدينتهم من المسلمين.

في ظل دماء المدنيين العزل المسفوحة؛ أقيمت دولة أرمنية في مدينة فان تحت الحماية الروسية. وبدا لهم أنه مع موت المواطنين المسلمين أو طردهم، قد يكون بمقدورهم الحفاظ على دولتهم الجديدة في أحد أقدم مراكز الحضارة الأرمنية القديمة. وتم تنظيم فيلق أرمني «لطرد الأتراك من كامل الساحل الجنوبي لبحيرة فان استعدادًا لحملة روسية منسقة في ولاية بيتليس».

آلاف الأرمن من منطقة موش والمراكز الأرمنية الرئيسية في الشرق بدأوا بالتدفق على الدولة الأرمنية الوليدة، بمن فيهم الكثيرين ممن هربوا من مسيرات الترحيل بينما كانوا في طريقهم إلى مدينة الموصل. وبحلول منتصف يوليو كان هناك ما يصل إلى ٢٥٠٠٠٠ أرمني (ربع مليون أرمني) مزدحمين في منطقة فان، والتي كانت تضم قبل الأزمة مالا يزيد عن ٨٠٠٠٠ شخص، من المسلمين وغير المسلمين على حد سواء (قبل طرد المسلمين منها).

مع ذلك، في أواخر يوليو، دفعت التعزيزات العثمانية التي وصلت المنطقة الجيش الروسي الأرمني للتقهقر، ورافقه عشرات الآلاف من الأرمن الذين خافوا من العقاب على ارتكابهم لعمليات القتل التي مكنت لقيام الدولة قصيرة العمر. كان الذعر لا يوصف وبعد مقاومة استمرت لمدة شهر تمكن جودت بك قائد القوات التركية من تحرير المدينة.

وبعد أن كانوا قد أسسوا حكومة ونصبوا حاكما أرمنيا، أصبح الجميع في حالة من الفزع، وفر مع القوات المسلحة الروسية المنسحبة ما يقرب من مائتي ألف لاجئ، فقدوا معظم ممتلكاتهم في كمائن كردية متكررة.

احتشد الفارون في جنوب القوقاز بعد أن فقدوا ما يصل إلى ٤٠٠٠٠ أرمني لقوا حتفهم أثناء الرحلة. وشمل عدد اللاجئين المشار إليهم أساسًا جميع هؤلاء الأرمن في المقاطعات الشرقية الذين لم يتعرضوا لعمليات الترحيل العثمانية.

وهكذا؛ فإن أولئك الذين ماتوا في ذلك الوقت كان أثناء مرافقتهم للجيش الروسي المتراجع في القوقاز، وليس نتيجة لأعمال عثمانية حربية مباشرة ضدهم لقتلهم.

لكن مع ذلك ورغم كل ما حدث لم يكن الروس – رغم سعادتهم بالمساعدة الأرمنية لهم – على استعداد للتخلي عن قلقهم من فكرة أن تتحول أراضي شرق الأناضول والقوقاز إلى دولة أرمنية مستقلة. لذلك في أثناء المفاوضات المتعلقة بالجزء الروسي في اتفاقية سايكس بيكو تم فقط الحديث حول الاستحواذ الروسي على الشمال الشرقي للأناضول والتواجد الفرنسي في قلقيلية (جنوب الأناضول)،

دون أن تتم الإشــارة أو الحديث على الإطلاق عن منح الأرمن الاســتقلال أو الحكم الذاتي. ورغم بقاء شــرق الأناضــول لفترة من الزمن تحت الاحتلال الروسي؛ إلا أن أيا من الوعود السابقة لم يتم تنفيذها أو الحديث عنها مجددا.

وفي كتابيه[١] اللذان ألفهما في واشــنطن يعترف الدكتور الأرمني جاريجن باســترمادجيان[٢] أنهم قاموا بذلك التمرد للقضــاء على الإمبراطورية العثمانية، وأن جهود الأرمن العسكرية في هذا الصدد ساهمت في هزيمة العثمانيين.

«وأخطر ما في الأمر أن هذا «البطل الأرمني» يقرر أن تحقيق هذا الهدف كـان يســـتحق حيـاة مئات الآلاف من الأرمن الذين أزهقت أرواحهم على مذبح السـياسـة، وأنهم كانوا مستعدين لتقديم أكثر من تلك الأعداد بكثير؛ قربانًا لخدمة هدف تأسيس دولة على أنقاض العثمانيين».

---

(١) Why Armenia Should Be Free: Armenia's Role In The Present War (١٩١٨).

- Armenia and Her Claims to Freedom and National Independence: Memorandum of Armenia and Her Claims to Freedom and National Indedependence Presented to the Democratic Mid-Europe Union (١٩١٩).

(٢) جـاريجن باســترماديجيان (Garegin Pastermadjian) من مواليد ولاية أرضــروم التركية بتاريخ ٩ فبراير ١٨٧٢، وتوفي في مدينة جنيف الســويســرية بتاريخ ٢٣ مارس ١٩٢٣، أطلق عليه الأرمن لقب البطل الأرمني (أرمين غاروArmen Garo) وهو قائد عســكري روسي وسياسي دبلوماسي وقومي أرميني، انضــم لحزب الطاشـناق الأرميني المعارض للنظام العثماني، عُيِنَ سفيراً لأرمينيا بالولايات المتحدة الأمريكية من سنة ١٩١٨ إلى ١٩٢٠.

كان القادة الأرمن يعلمون تماما ما يعرضون له أنفسهم وشعبهم من خطر، وأن ما سيقدمون عليه من عمل عسكري سيؤثر سلبا على مئات الآلاف من المدنيين الأرمن الموجودين داخل تركيا، لكنهم اتخذوا قرارهم بموالاة الحلف المعادي لتركيا في الحرب.

حزب الطاشناق الأرمني (الاتحاد الثوري الأرمني) كان الممثل الأقوى للأرمن والكيان الأكثر شعبية بينهم، واشتهر بأنه كان مشاركا في تشكيل الدولة والسياسة التركية قبل الحرب بسنوات عدة، وشارك في الانقلاب على السلطان عبدالحميد وانتزاعه من السلطة. كانت نقطة تحول كبيرة وهامة بالنسبة للحزب، فأعلن ولاءه للنظام التركي الجديد وانخرط بهمة في الحياة السياسية والقانونية والبرلمانية.

دخل الحزب الأرمني في شراكة مع لجنة الاتحاد والترقي، وكانت وقتها هي المنظمة الأعلى كعبا وشأنا ونفوذا في الإمبراطورية العثمانية. وتوسع نفوذ الحزب داخل المؤسسات المدنية والتعليمية الأرمنية في جميع الولايات، وانفسح له المجال في قلب الدولة العثمانية لينظم الأرمن في هيئات سياسية متعددة ورسمية.

وأسس الطاشناق اتحادات عمالية ومحاكم خاصة للأرمن، وحصد الحزب أغلبية الأصوات في الولايات الأرمنية، عندما شارك في الانتخابات التركية العثمانية عام ١٩٠٨.

باختصــار كان حزب الطاشــناق يمثل القلب النابض والمُعبر الحقيقي عن الرأي الأرمني، لكن مع كل هذه الامتيازات، ورغم أنه أتيحت له الفرصة كاملة ليمارس هذا الدور السـياسـي، لكنه أبى إلا أن ينقلب على كل شــيء، ويلجأ إلى أمنيته الأصـــيلة؛ وهي هدم الدولة العثمانية الآفلة وخليفتها التركية الوليدة. فتحالف مع ألد أعدائها في أحلك الأوقات، وجر الشعب الأرمني خلفه إلى مهلكة كبيرة في وقت الحرب العالمية.

وضـع الحزب نصـب عينيه سـبيلا وحيدا لتحقيق النجاح، أن يدفع الروس والأوروبيين للتدخل عســكريا لصـــالح الأرمن وضـــد الدولة التركية. واعتمد سياسات تهدف إلى القيام بهجمات إرهابية داخل العاصمة التركية وعلى القرى المسلمة، لدفع تركيا لردود أفعال قوية ضد الأرمن ودفع الشعب التركي المسلم للانتقام من الأرمن. وقد كان له ما أراد؛ ووقعت حمامات الدم من الترك والأرمن؛ فقط ليحقق حزب سياسي نصره المنشود.

المؤلف والناشر[1]

مؤلف كتاب الوطنية المنحرفة هو «كابريل سيروب بابازيان»، من مواليد ٣٠ أكتوبر ١٨٨٧، في قرية بالاجيسي Balagesi التي تقع على بعد ١٩ كيلو متر شمال شرق مدينة قيصري في الأناضول بتركيا، وهي من القرى المسيحية التي يقطنها الأرمن، وكانت ضمن ما يسمى في كتابات الأرمن بـ « أرمينيا التركية ». ثم هاجر إلى الولايات المتحدة الأمريكية وأقام أولا في ويندسور رود في سمرفيل بولاية أوريغون.

عمل بابازيان كصحفي وكاتب بصحيفة « بايكار برس « لفترة طويلة، وأنتج كتابه الوحيد وهو « الوطنية المنحرفة « الذي طُبع في مايو ١٩٣٤، وفي عام ١٩٧٩ نشر كاتب يدعى « بيتر دير مانوليان « كتابا من مقالات وأعمال «بابازيان» بعنوان « تاجر من أرارات « وقام مانوليان بعمل التحرير والمراجعة للكتاب.

---

(١) جرت العادة على أن توضع ترجمة أو تعريف بالمؤلف فقط في صدر أي كتاب مترجم، لكني آثرت أن أضع تعريفا للكاتب والناشر لأنهما في هذا الكتاب مترابطان سياسيا. فالناشر في حقيقة الأمر هو الحزب الذي ينتمي إليه المؤلف؛ ويمتلك الصحيفة التي يعمل بها أيضا، لذا فكل ما كتبه بابازيان هو مؤيد ومعتمد من جانب الهيئة الرسمية للحزب الديمقراطي الليبرالي الأرمني، ويمكن بكل اطمئنان اعتباره موقف الحزب رسميا من المسألة الأرمنية في ذلك الوقت. [المترجم].

ناشر كتاب الوطنية المنحرفة هي بايكار برس Baikar Press، وكلمة بايكار باللغة الأرمنية تعني النضال أو الكفاح. وتعتبر بايكار برس هيئة رسمية تابعة للحزب الديمقراطي الليبرالي الأرمني Armenian Democratic Liberal Party (ADL) والمشهور باسم حزب رامجافار Ramgavar Party.

وأصدرت صحيفة يومية باللغة الأرمنية بنفس الاسم (بايكار برس)، تأسست عام ١٩٢٢. وبعد عقود من نشر الصحيفة يوميا تحولت إلى مجلة أسبوعية، وبعد توقفها لفترة عادت للظهور مرة أخرى بداية من يناير ٢٠١٨. ومقرها الرئيسي الآن في ووتر تاون بولاية ماساتشوستس الأمريكية. وتنشر مؤسسة بايكار أيضا الصحيفة التوأم باللغة الإنجليزية Armenian Mirror-Spectator والتي بدأ نشرها عام ١٩٣١.

وجدير بالذكر تأكيد بابازيان في كتابه على تبنيه لموقف الحزب الليبرالي وتوضيح ذلك الموقف من معارضة أعمال الاتحاد الثوري الأرمني بقوله: « عارض الحزب الليبرالي الديمقراطي الأرمني هذه السياسة بشدة وأحبطها، هذا الحزب وبرغم أنه معادي لمبادئ الاشتراكية أو البلشفية؛ إلا أنه دافع عن قضية أرمينيا السوفيتية باعتبارها الأمل السياسي الوحيد للأمة ».

هذه المعارضة من الحزب الليبرالي جعلته هدفًا لانتقام الاتحاد الثوري الأرمني، وهو ما يذكره بابازيان في كتابه بذكر إعلان الطاشناق علنا «أن العقبة الوحيدة أمام هيمنتهم على الشتات الأرمني كانت هي الحزب الليبرالي الديمقراطي الأرمني. لذلك، يجب قتالهم بكل الوسائل وعلى كل الجبهات».

* * *

«كي نفهم ما حدث بدقة يجب أن نضعه ضمن سياقه التاريخي والثقافي والجغرافي والسياسي والاقتصادي المحدد، وليس هناك أفضل من الحقيقة حين يرويها أصحابها ومعاصروها»

الوطنية المنحرفة

استعراض لأفعال وآثام الاتحاد الثوري الأرمني

أو ما يسمى بـ «حزب الطاشناق»

إهداء

في ذكرى شهداء الأرمن

الذين قادهم إخلاصهم لشعبهم وولائهم لبلدهم الأم

أن يلقوا حتفهم على يد أشقائهم.

مقدمة المؤلف

حاولت في الصفحات التالية أن أقدم للأرمن الناطقين بالإنجليزية المقيمين في الولايات المتحدة وللجمهور الأمريكي بشكل عام صورة واضحة إلى حد ما عن منظمة نالت شهرة دعائية كبيرة لارتباطها باغتيال رئيس الأساقفة ليون توريان في نيويورك مؤخرًا.

قد يكون من المهم فهم الخلفية والأنشطة السابقة وأهداف الاتحاد الثوري الأرميني وأساليبه، إذا كنا سنحاول تخليص حياة المجتمع الأرمني الأمريكي، من الميول العدوانية لهذا التنظيم. إن نمطه التنظيمي، وتكوينه الذهني المتضارب على النحو الذي تشي به منشوراته، وإيمانه باستخدام العنف بدلاً من الإقناع والنقاش الحر للتغلب على المعارضة، وميله إلى تجاهل وتشويه إرادة الأغلبية عند التعامل مع القضايا العامة، وإسراعهم مرارا وتكرارًا بالنزاعات في الماضي، كل ذلك غريب عن قيمنا الأمريكية ومبادئنا المسيحية.

وآمل أن يساعد هذا الكتيب في خلق فكرة ملائمة إلى حد ما في أذهان قراءه حول المخاطر الأخلاقية والفعلية التي يتعرض إليها شبابنا ومجتمعنا من تهديد بسبب أنشطة حزب الطاشناق. ومثل هذه المعرفة لازمة إذا أردنا تجنب هذه الأخطار وإحلال السلام والوئام بيننا.

كانت عملية تقديم الاتحاد الثوري الأرمني بشــكله الســياســي والأخلاقي الحقيقي؛ مهمة صـعبة إلى حد ما، نظرا لما كان يتمتع به هذا التنظيم من مرونة لتغيير وجهه ولونه مرارًا وتكرارًا بأريحية تامة من ضـــميره. في البداية كانوا قوميين ممزوجين ببعض الاشتراكية. ثم انقلبوا وتحولوا لشيوعيين مع البلشفية اللينينيـة، وتبنوا العلم الأحمر شـــعـارا لهم. ورغم ذلـك، تعـاونوا مع الطغـاة الإمبريـاليين الأتراك. ثم الآن يعتنقون القوميـة مرة أخرى، وحتى مع ميلهم إلى الفاشـية أو الهتلرية، ما زالوا يتشـبثون بالعلم الأحمر شـعارا ومتدليا منه خنجر؛ رمزا للانتقام والتآمر.

لقد حاولت أن أكون منصـــفًا في عرضــــي للحقائق وفي أحكامي. ومعظم اسـتنتاجاتي تسـتند إلى حقائق من التاريخ المعاصـر، ومحصـنة باقتباسـات من منشورات حزب الطاشـناق ومؤلفي الطاشناق. أعلم أن الصورة التي أقدمها عن الاتحاد الثوري الأرمني لن تروق إلى أعين أتباعه المخلصـــين؛ ومع ذلك فقد حاولت على الأقل التمســك بفكرة أن الطبقات والقواعد الشــعبية في المجتمع، وعلى الرغم من الخداع والتضـليل، لا يزال لديهم الوطنية كدافع للتحرك؛ حتى مع وجود شكل مشوه ومنحرف من الوطنية.

كابرييل سيروب بابازيان

بوسطن، ماساتشوستس.

١٠ مايو ١٩٣٤

* * *

البداية

تشكل الاتحاد الثوري الأرميني، المشهور بحزب الطاشناق في القوقاز عام ١٨٩٠ عبر توحيد العديد من التنظيمات الثورية السرية، التي كان لها أهداف أو أفكار – شبه - مثالية مشتركة حول تحرير أرمينيا من اضطهاد الأتراك. العناصر التي تألف منها الطاشناق في البداية كانت من المثقفين الأرمن المنتمين إلى المدرسة الروسية للاشتراكية، والجماعات الأرمنية من القوميين المتشددين، وبعض الماركسيين الخلصاء غير الملوثين بأي فكر آخر، وبعض من الليبراليين و ممثلي الطبقات البرجوازية.

في حديثه عن هذه المجموعة المتنوعة من الجماعات، يقول ميكائيل فاراندیان[١]، المُنظر الأيديولوجي والمؤرخ في حزب الطاشناق: أن اليمين واليسار، المعتدلون والمتطرفون، ذوو الميول القومية والإنسانية... جميعهم مشبعون بفكرة تحرير أرمن تركيا». («تاريخ الاتحاد الأرمني الثوري، بقلم م. فاراندیان، المجلد الأول، الصفحة ٥٩، باريس ١٩٣٢).

(١) ميكائيل فاراندیان(Mikayel Varandian) مؤرخ أرمني ولد في شوشا بالإمبراطورية الروسية عام ١٨٧٠ وتوفي في فرنسا عام ١٩٣٤، درس في جامعة جنيف وكان ممثل حزب الاتحاد الثوري الأرمني في منظمة الأممية الثانية (١٨٨٩-١٩١٦)، أو الأممية الاشتراكية الأصلية، وكانت منظمة جمعت أحزابا اشتراكية وعمالية تأسست في باريس في ١٤ يوليو ١٨٨٩..

لكن تفســير فكرة تحرير الأرمن في تركيا جرى بشــكل مختلف من قبل مجموعات مختلفة سـعت إلى الاتحاد. فبالنسـبة للاشـتراكيين، كان التحرير لا يعني بـالضـــرورة اســتقلال أرمن تركيـا عن بقيـة الشـــعوب التي تشـــكـل الإمبراطورية العثمانية. بل تخيلوا وضـــعا يتمتع فيه جميع العمال من الأرمن، والأتراك، والأكراد وغيرهم بحرية عالمية وأن يكونوا متحررين من الاضطهاد الاقتصادي.

وبالنسبة للقوميين، كان التحرير يعني على الأقل قدرًا من الاستقلال الذاتي للأرمن في أرمينيا التركية. ووافقت المجموعات المتنافســة أخيرًا على المبدأ العـام المتمثـل في أنــه يجـب عليهم التخلص من النير البغيض المفروض من السلطان العثماني، ويجب القضاء على النظام الاستبدادي لتركيا، «ويجب تأمين الانسـجام بين الجنسـيات، والأمان للعمال، وحرية الضـمير الإنسـاني، وحرية التعبير والاعتقاد». كـان هدفهم هو «تحقيق المســاواة للقوميات والأديان أمام القانون». (من برنامج الاتحاد الثوري، المعتمد في الاتفاقية العامة لعام ١٨٩٢، الصفحتان ٦ و ٩).

وفي نفس الكتيـب المـذكور أعلاه[١] جرى تعريف الغرض من تـأســيس الاتحاد الثوري الأرمني – في الصـفحة رقم ١٥ – «أن الغرض من الاتحاد هو تحقيق الحرية السـياسـية والاقتصــادية في أرمينيا التركية باسـتخدام وسـائل التمرد...».

---

(١) برنامج الاتحاد الثوري، المعتمد في الاتفاقية العامة لعام ١٨٩٢.

الجدير بالملاحظة أن موقف حزب الطاشناق من مسألة الاستقلال الأرمني كان غامضا نوعا ما منذ البداية. فلم يطالب باستقلال أرمينيا التركية؛ ويقول فاراندیان في كتابه « تاريخ الاتحاد الأرمني الثوري»، صفحة ١١٨، «أن رواد حزب الطاشناق وآباؤه المؤسسون لم يكتفوا فقط بعدم التلفظ بكلمة الاستقلال في خطاباتهم العامة؛ بل أيضا لم يضعوا الاستقلال ضمن طلباتهم». وليؤكد المؤرخ الطاشناقي على وجهة نظره وحديثه؛ يقتبس من منشور الدروشاك «Droshak» (الذراع الرسمي للهيئة المركزية لحزب الطاشناق) الصادر في الخامس من نوفمبر ١٨٩٣ الأسطر التالية:

«نحن نعارض وجهات النظر التي تقول أن استقلال الشعب (الأرمني) هو شرط حتمي لتحسين وضعه ومصيره».

هذا الغموض والارتباك تم تصميمه منذ البداية من أجل استرضاء الراديكاليين والمتطرفين الاشتراكيين الموجودين داخل صفوف المنظمة. كانت مطالب مثل «الحرية السياسية والاقتصادية في أرمينيا التركية»، هي أكثر قبولا لدى هذه التيارات الراديكالية؛ من مسألة الاستقلال السياسي أو الحكم الذاتي للأرمن في أرمينيا التركية. هذا الغموض في تعريف غرضهم، وتمييع المثل العليا الوطنية لتتماشى مع الميول الدولية والاشتراكية، جعل الأمر أسهل على قادة الطاشناق (لتنفيذ مخططهم).

وفي السنوات التالية أخضع القادة الطاشناق المطالب السياسية الأرمنية إلى عملية تنازلات خطيرة مع حركة تركيا الفتاة. كانت تكتيكات الاتحاد الثوري الأرمني الاستراتيجية هي: الهرب مع الفريسة والصيد مع الكلاب (To run with the hare and hunt with the hound)[١].

لكن فكرة وجود أرمينيا مستقلة لم تفرض نفسها على المجتمع (الطاشناقي) إلا بعد تحولات الأحداث السياسية التي نجمت عن الحرب العالمية والثورة الروسية التي قضت على روسيا القيصرية.

كان توحيد التجمعات الثورية المختلفة قد تم على يد «كريستوفر ميكايليان»، «سيمون زافاريان»، و«روستم زوريان»، وهم ثلاثة من القادة تمتعوا بالقدرة وقوة الشخصية. وخلال حياتهم استطاعوا الحفاظ على الانسجام والتناغم بين العناصر المتنوعة والمتنافرة إلى حد ما، والتي تألف منها اتحاد الطاشناق (Dashnagtzoutune)[٢].

---

(١) وهو مبدأ سياسي معروف بكونه من أساسيات العمل لدى أصحاب الفكر السياسي المتطرف والانتهازي، وحديث المؤلف يؤكد أن جعل الشعب الأرمني هدفا لعمليات انتقام من الأتراك كان من التكتيكات المتبعة من الطاشناق، رغم ما هو معروف مقدما من نتائج هذه الاستراتيجية وآلاف الضحايا المحتملين؛ سواء من الأتراك لإشعال فتيل المذابح؛ أو من الأرمن كنتيجة للانتقام المؤكد. وفي الأدبيات والروايات الأرمنية عن تلك الفترة (مثل رواية The water diviner للكاتب الأرمني أندرو أنستاسيوس، والتي تحولت إلى فيلم بطولة الممثل العالمي راسل كرو نجد عصابات وميليشيات الأرمن المدعومة بالأسلحة الحديثة تحرق القرى والبلدات التركية والأرمنية وتقصف القطارات بمن فيها من نساء وأطفال دون تمييز وتحرض على قتل الجميع حتى العسكر الهاربون للانضمام إلى الحركة الكمالية المعارضة للدولة العثمانية. [المترجم].

(٢) (Dashnagtzoutune) الاسم الأرمني لكلمة اتحاد، وجرى اعتماده على أساس أن الكيان الجديد هو مجرد تحالف بين جماعات مختلفة وليست حزبا واحدا أو مؤسسة متكاملة. [المترجم].

وعلى الرغم من وجود هدف مشـــترك - تحرير الأرمن من الاضـــطهاد التركي - جمع هـذه المجموعـات المختلفـة ســـويـا، إلا أن اختلاف المبـادئ والتوجهات السياسية بينها لم يتم القضاء عليه. هذا الواقع من الخلاف أصبح في الســنوات اللاحقة ســببا كبيرا للارتباك في برنامج وســياســات المنظمة. فمنذ البداية كان الاتحاد يفتقر إلى الاتساق بين الغاية والسبيل، واصطبغ بالانتهازية والافتقار إلى الحس العام السليم في معظم أعماله.

* * *

المنظمة

كانت المنظمة الوليدة (الاتحاد) ديمقراطية في الشكل فقط، فلجانها واتفاقياتها ومؤتمراتها لا تزيد عن كونها مجرد تجمعات للحوار وتوفير الأموال من أجل تحقيق أغراض المنظمة. لكن التوجيه الفعلي للشئون كان قد استقر واستراح منذ البداية في يد هيئة سرية تأسست وأقامت في مدينة جنيف بسويسرا، وحكمت أتباعها بقبضة حديدية وانضباط صارم. وجرى حث الأفراد العاديون على عدم التواصل مع بعضهم البعض أو مع اللجان؛ حول الأمور المتعلقة بالاتحاد. هذا التصرف قلل من النقد للاتحاد إلى الحد الأدنى، وأعاق التفكير المستقل للأفراد.

وتحظر المادة ٣٥ من اللوائح التي وضعها الاتحاد الثوري الأرمني في الولايات المتحدة ونشرتها جريدة هيرنيك «Hairenik Press» في بوسطن عام ١٩١٠، التواصل بين الأفراد الأعضاء بالاتحاد (وتحديدا بالألفاظ والكلمات التالية):

«لايسمح مطلقا لأي عضو بالطاشناق (Dashnagtzagah) أن يرسل منشورات - أو مراسلات – إلى الأعضاء الآخرين أو اللجان».

من ناحية أخرى، يمكن للقادة والهيئات أو اللجان الرســمية حجب الحقائق والمعلومات المهمة عن أعضاء المنظمات القاعدية، إذا شاءوا القيام بذلك.

والمنظمة أوليجارشــية[1] إلى حد ما، وقد تم تدريب أتباعها على تقبل المراسيم والأوامر الصادرة عن كبار المسئولين دون مناقشة. ويقول الدكتور جان لوريس مليكوف[2]؛ الصديق الشخصي لكريستوفر ميكايليان[3] وأحد مؤسسي الاتحاد الطاشناقي «الحقيقة أن الحزب كانت تحكمه أوليجارشية وضعت المصالح الخاصة بالحزب أمام مصالح الشعب والأمة الأرمنية». (الثورة الروسية وجمهورية القوقاز الجديدة، ص ٨٤، مكتبة فيليكس ألكان، باريس، ١٩٢٠)[4].

ويصف البند ٧ من المادة ٥٧ من اللائحة الداخلية للحزب في المنطقة الأمريكية، والتي طبعتها دورية هيرنيك «Hairenik» في بوسطن عام ١٩١٠، بعض واجبات اللجنة المركزية الأمريكية على النحو التالي:

---

(١) أوليجارشية أي يحكمها قلة مختارة، حيث تكون السلطة السياسية محصورة بيد فئة صغيرة من الجماعة أو المنظمة. [المترجم].

(٢) الدكتور جان لوريس- مليكوف (الطبيب والعالم في معهد باستور في باريس، ابن شقيق الأمير والجنرال لوريس- مليكوف وزير الداخلية في عهد القيصر الروسي ألكسندر الثاني)، كان عضوًا في المكتب الغربي المسؤول عن «إدارة» صحيفة برو أرمينيا (Pro Armenia). [المترجم]

(The Armenian Genocide: A Complete History, by Raymond Kevorkian, p. ٨٢٣).

(٣) كريستوفر ميكايليان (أو كريستابور بالأرمنية) هو ثالث الثلاثة الذين أسسوا الاتحاد الثوري الأرمني وأحد أعلام حركة التحرر الوطني الأرمني. [المترجم]

(٤) (La Revolution Russe et les Nouvelles Republique Transcaucasiennes ،٨٤ ،Liberairie Felix Alcan ،Paris ،١٩٢٠).

«التواصـــل مع اللجان عن طريق النشــرات الدورية فيما يخص الأخبار الواردة من مناطق نشـاط المنظمة (تركيا وبلاد فارس والقوقاز) والتي ليس لها علاقة بالمؤامرات».

* * *

الإرهـاب

العديد من المكائد والدسـائس والمؤامرات والمؤسـسـات الإرهابية جرى حجبها عن أفراد الحزب، والعديد من الأعضاء الأبرياء تم وضعهم كشركاء في المكائد دون اطلاعهم على الدوافع المباشـرة أو الأغراض التي تقبع خلف تلك المخططات. كان امتياز السـرية الذي حظي به القادة الطاشـناق قد تعرض في غالب الأحيان إلى سوء الاستغلال الجسيم من جانب أولئك القادة.

ووضـعت الهيئات القاعدية باسـتمرار تحت تأثير وتحكم الحكام الخفيين والذين نجحوا عبر بعض الأعمال المثيرة – وإن كانت عديمة الجدوى – في الحفاظ على مكانتهم السامقة وانتفاخ خزائنهم[١].

وحتى يومنا هذا فإن الاتحاد الثوري الأرمني هو مكان التقاء العناصـر المتباينة. وفي «تقريرها عن أرمينيا الروسـية» تتحدث اللجنة الأمريكية للاتحاد بقيادة الجنرال جيمس ج. هاربورد - الذي أرسـله مؤتمر السـلام عام ١٩١٩ إلى القوقاز- عن الطاشناق على النحو التالي:

---

(١) وهذا بالضبط شأن كل الجماعات والتنظيمات الإرهابية التي تستخدم العنف والدسائس كسبيل لها، قادة يحكمون بأهوائهم ولمصـالحهم بعيدا عن المبادئ التي تجمعوا بالأصـل للوفاء بها، مسـتغلين السـرية والضـرورات الأمنية التنظيمية في إرهاب الأعضـاء والأتباع لتنفيذ أوامر القادة التي كثيرا ما تكون فقط بدافع المنافع الشخصية رغم ما تتسبب به من كثير من سفك الدماء وضياع الأرواح سواء من جانب أتباعهم المخدوعين أو أعداؤهم المفترضين. [المترجم]

- «الاتحاد هو جماعة سياسية أكثر من كونه حزبا.

- يتكون (الاتحاد) من ثلاثة عناصر محددة بوضوح وكلها اشتراكية بقوة، كالتالي:

أ- الجناح الأيمن ويتألف من الكوميتاج (comitadji) (وتعني الثوريين السريين الذين يؤمنون بالأساليب المسلحة القوية).

ب- الوسط (المركز) ويتألف من المثقفين الذين يسيطرون على كلا الجناحين.

ج- الجناح الأيسر ويكاد يكون بأكمله من البلاشفة.

* * *

الإرهاب في البرنامج الأول للحزب

الوطنية وتأثير القادة الأوائل؛ حفظوا الدوافع الســـامية – رغم عدم الحكمة في العمل – داخل الحزب، لكن مع ذلك وتدريجيا تأسست تقاليد ومصـالح ذاتية حكمت سـياســات الطاشـناق. وتمكن صــغار العقول والمشـكوك في وطنيتهم والانتهازيون من وضع أنفسهم على رأس الجماعة، وهكذا بدأت عملية انحطاط مثيرة للتسـاؤلات. بل حتى تم اللجوء إلى الأسـاليب الإجرامية غير المشـروعة من أجل تحقيق أغراض الحزب.

في حديثه حول جماعة الطاشـناق في القوقاز؛ أعلن تقرير اللجنة الأمريكية بقيادة الجنرال جيمس هاربورد مرة أخرى:

- «إنه (أي الحزب) منظم للغاية، وله عملاء في كل مكان، ولا يزال يلعب دورًا مهيمنًا في الحياة القومية الأرمنية».

- «يقول خصـــوم الاتحاد الثوري أنه على الرغم من دوره الوطني إلا أنه من بقايا البربرية ويجب إيقافه. بينما مؤيدوه يؤكدون على أنه عضـو حيوي في الحياة الأرمنية وأن عناصره الشريرة كانت ناتجا محتوما للظروف السـابقة[١]، وأن تلك العناصر سيتم استبعادها مع استعادة النظام (داخل التنظيم).

---

(١) اعتراف صــريح من الجنرال جيمس بالعناصــر الشــريرة التي وجهت الحزب في تلك الفترة وقادت الجميع إلى حمامات الدم.

- «من المحتمل أن الاتحاد الثوري لا يزال يستخدم الأساليب الإرهابية، ولا يمكن إنكار أنه يشكل الآن مصدر خطر، بسبب مسؤوليته عن التعجيل والاندفاع نحو الصراعات».

قُدم هذا التقرير إلى مؤتمر السلام وإلى حكومة الولايات المتحدة الأمريكية، في آب / أغسطس ١٩١٩.

لقد اعتمد الإرهاب، من البداية، من قبل لجنة الطاشناق في القوقاز، كسياسة أو وسيلة لتحقيق غاياتها. وفي هذا اتبعوا حذو الاشتراكيين الروس أو العدميين. وتحت عنوان «الوسائل» (Means) في برنامجهم المعتمد في عام ١٨٨٢، نقرأ التالي :

«من أجل تحقيق هدفه عن طريق التمرد، ينظم ذراع الاتحاد الثوري مجموعات ثورية. «وهذه المجموعات يجب أن تستخدم وسائل أو طرق مختلفة، والتي ترد في الصفحتين ١٧ و ١٨ من البرنامج».

الوسيلة رقم ٨ هي كالتالي:

- «شن القتال وإرهاب المسئولين الحكوميون والخونة والمضاربين والمرابين والمستغلين من كل الأصناف».

الوسيلة رقم ١١ هي:

- «إخضاع المؤسسات الحكومية للتدمير والنهب».

ومنشورات الطاشناق مملوءة بقصص المآثر الإرهابية.

في البداية، تم اللجوء إلى هذه الأساليب الإرهابية من أجل الحصول على المال لتمويل الحركات الثورية في الأراضي التركية. يقول الدكتور جان لوريس-مليكوف: «كان الحزب قد صنع مجموعات (للتمويل) من بين البرجوازيين والتجار الكبار (الأرمن).

ثم في النهاية، عندما اسْتَنْفَدَت هذه الوسائل أغراضها (ولم تعد تستطيع مجاراة طموح ونهم الحزب)، لجأوا إلى الإرهاب بعد أن تشربوا تعاليم الثوار الروس أن «الغاية تبرر الوسيلة»[١].

وفي مقال موقع نُشر في دورية هيرنيك - الناطقة بلسان اللجنة المركزية للطاشناق بالولايات المتحدة - بعنوان «أرمينيا تاريخها وعاداتها» يقول الكاتب في هذا الشأن ما يلي:

«بالإضافة إلى ذلك فإن التعسف التركي غالبا ما كان يتم القضاء عليه أو الحد منه، عبر سياسة الطاشناق المتمثلة في إبادة والقضاء على المسئولين الأتراك المتعسفين. ومن الممارسات الأخرى المؤثرة التي تم تنفيذها؛ تخويف الرجال الأرمن البارزين من أجل الحصول على الدعم المالي، ومن رفض من هؤلاء وُضِعوا تحت المراقبة. في الحقيقة كان الأمر يشبه إلى حد كبير الأساليب السرية الحديثة للابتزاز، إلا أن الهدف من الابتزاز كان نبيلا»[٢].

---

(١) La Revolution Russe et les Nouvelles Republiques Transucasiennes ،« Page ٨١».

(٢) "Hairenik", Sept. ١٦, ١٩٣٣).

وإذا أردنا أن نصـــدق الراحل الســيد فاراندیان (M. Varandian) - والذي كان قياديًا بارزًا في المجموعة التي تنتمي إلى المجالس الداخلية– فإن الأساليب الإرهابية غالبًا ما كانت تستخدم لجمع الأموال من الأرمن الأثرياء:

- «أول محاولة لجمع الأموال بالقوة جرى تجربتها في مدينة شـوشـة[1] في صيف عام ١٩٠٢، كان قائدنا كريستوفر هناك مع جنوده... وأول ضربة لـــ» فرقة العاصفة « سقطت على المليونير المعروف إسحق جاماريان. قامت فرقة «العاصـــفة» باعتقاله في إحدى الليالي ونقله إلى مكان منعزل خارج المدينة. وســـمحوا بالإفراج عنه عندما وعد بدفع ٣٠٠٠٠ روبل. ومع ذلك، أخطر الشـــرطة، وتم القبض على مختطفيه. يقول فاراندیان: «ومن خلال خيانته المضحكة هذه، صاغ جاماريان مصيره المأساوي. وبعد بضعة أشهر من هذه الحادثة؛ في موسكو في وضح النهار وفي فناء الكنيسـة الأرمنية، وبحضـور حشد كبير، دفع هذا الخائن ثمن خطيئته وسقط تحت ضربات خنجر».[2]

لقد ارتكب جاماريان خطيئة الدفاع عن نفســـه ضـــد المطالب التعســفية للمستهترين الذين نصبوا أنفسهم مخلصين لشعبنا، والذين تمادوا للغاية باختطافه وتهديده بالعنف. كان لذلك خائنا في أعين هؤلاء، وخائنا في عين المؤرخ الطاشناقي فاراندیان عام ١٩٣٢، بل وحُرم من حق الدفاع عن نفسه.

(١) شوشا (بالأذرية - Şuşa) هي مدينة في منطقة مرتفعات قرة باغ لجمهورية أذربيجان.

(٢) History of the Dashnagtzoutune", by M. Varandian, Vol. I Page ٣٢٥, ٣٢٦, ٣٢٧, Paris, ١٩٣٢.

كل من اختلف مع قادة الطاشـناق، أو من اعتبرهم القادة المحليون يحملون ضـغينة ضـد الطاشـناق، جرى تجريسـهم وفضـحهم كعملاء وخونة للقضـية. ماتيوس باليوزيان التاجر الثري من مدينة سـميرنا[1] (Smyrna) تم فضـحه كخائن رغم أنه حتى يومنا هذا لا يوجد أي دليل على الإطلاق على أنه خان أي شـخص لصـالح الحكومة التركية، ورغم ذلك فإنه ووفقا لفاراندیان قد قُتل عام ١٩٠٢ على يد إرهابي من الطاشـناق هو «هورين سـركيسـيان» أو «بدروس عزيزوف»، من ماغنيسا[2] (Magnisa).

وتتضـح علاقة الطاشـناق بالجريمة بما ذكره مؤرخهم (عند حديثه عن جريمة أخرى ضـد أثنين من الأرمن اتهما بأنهما جاسـوسـان للترك): «الجاسوسان كانا محميان ماديا ومعنويا من الثري الأرمني ماتيوس باليوزيان، والذي كان ذو نفوذ في الدوائر الحكومية (التركية).

---

(١) سـميرنا (باليونانية: Σμύρνη) هي مدينة إغريقية قديمة تقع على الساحل الغربي للأناضول على البحر الأبيض المتوسط. [المترجم]

(٢) مـاغنيسـيا (بـاليونـانية: Μαγνησία) هي واحده من الوحدات الإقليمية لليونان. وجزء من منطقة ثيسـاليا. عاصـمتها مدينة فولوس و حوالي ٧٠٪ من السـكان يعيشـون في منطقة فولوس الكبرى، وكانت في ذلك الوقت تابعة للدولة العثمانية. [المترجم]

والمنظمة بالطبع لم تتراجع وعاقبت هذه الحشـــرات الأرمنية، مقصـــود وكاريكين (Maksoud and Karekin)[١] اللذان كانا قد أُخضـعا للترويع. ونفس الأمر حدث لباليوزيان الذي واصــل مســاعدة الشــرطة (التركية) بعناد، وكان إرهابه وترويعه قد تم تخطيطه على يد «هراتش»[٢] (Hrach) بنفســه عام (١٩٠٢) والإرهابي الذي نفذ هو «بدروس عزيزوف الماغنيسي»[٣].».

هذه الأســاليب الإرهابية اســتخدمت في تلك الأيام حتى داخل صــفوف قادة الطاشـناق أنفسـهم، لتصـفية الخلافات في الرأي واسـتجابة للضـغائن الشـخصـية؛ كما اعترف فاranديان نفســـه في كتابه الشـــهير تاريخ الاتحاد الثوري الأرمني صـفحة ٨٦: «في نفس العام ١٨٩١ قُتل جريكتزيان في أرضروم[٤]، بقرار من اللجنـة المركزيـة المحليـة. ذنـب الرجـل أنـه كـان ضـــد التحركـات الثوريـة المتسرعة، وكان ينصح بالتعقل والتروي في التحضير للأفعال».

لكن رفاق جريكتزيان من أصـحاب الرؤوس السـاخنة قالوا «من ليس معنا فهو ضـــدنـا» وأذاعوا عنه الكثير؛ وهذا الكثير ســـقط على عاتق الرفيق آرام أرميان الذي تحرك وقتل الرفيق جريكتزيان.

---

(١) أسماء الرجلان المتهمان بالجاسوسية من جانب حزب الطاشناق. [المترجم]

(٢) يقصـد هراتش داســنـابديان (Hratch Dasnabedian) المؤرخ الأرمني والعضـو البارز في الاتحاد الثوري الأرمني، ولفظة هراتش تبعا للتعبير الأرمني تعني الشخص الذي تطق عينيه بالشرر

An Armenian name given to males with a certain look in their eyes, not based on color but the sparkle in his eyes ،(.Urban Dictionary)[المترجم] .

https://www.urbandictionary.com/define.php?term=Hrach

(٣) History of the Dashnagtzoutune", Vol, I. Page ٤٥٠.

(٤) محافظة أرضروم وتقع في شمال شرق تركيا. [المترجم]

«وأدانت اللجنة المركزية للطاشناق هذه الخطوة في عام ١٨٩٢ بحضور أراميان، وأصدرت نشرة خاصة بذلك». لكن مركز الطاشناق (في أرضروم) لم يعاقب آرام أراميان على جريمته. واعتبر التوبيخ اللفظي كافيا (كعقاب على جريمة قتل رفيقه!!!).

تأسيسا على محتوى تاريخ الاتحاد الثوري الأرمني الذي كتبه فاراندیان، فإن منظمة الطاشناق كانت غزيرة الإنتاج فيما يتعلق بتنظيم وتنفيذ الأعمال الإرهابية، ويبدو أن الإرهاب ضد رعاياهم كان جزءا بارزا من الأنشطة الثورية لقادة الطاشناق في القوقاز.

ورغم أنهم انضموا للتنظيم لمحاربة الترك، إلا أن هؤلاء القادة كانوا أكثر نجاعة وتوفيقا في القتال ضد المعارضون الأرمن في تركيا والقوقاز، وفي غالب الأحيان ضد العزل والأبرياء من الأرمن. ويزهو فاراندیان ويشيد بتلك الأفعال الإرهابية للاتحاد الثوري الأرمني في الصفحات ٢١١- ٢١٣ من كتابه بالعبارات البراقة المتوهجة التالية:

«إن الأعمال الإرهابية التي، للأســف، كانت موجهة في كثير من الأحيان ضد المخالفين الداخليين، ضد الخونة والجواسيس الغادرين وضد كل أصناف الخونة، ربما لم يكن هناك حزبا ثوريا آخر – ولا جماعة نارودنايا فوليا[١] الروســية أو كاربوناريا[٢] الإيطالية – له مثل هذه التجارب والخبرات الثرية على صعيد الأعمال الإرهابية مثل التي امتلكها الاتحاد الثوري الأرمني. والذي كان يتحرك في بيئة شــاقة وطور في بيئته تلك أكثر أنواع الإرهاب جنونا وهياجا، وأعطى مئات **الســادة**[٣] المســدس والقنبلة والخنجر من أجل أعمال الانتقام». «إن إرهاب الطاشناق، على الرغم من أنه كان موجه بشكل أساسي **ضد الأرمن الجبناء** في البداية،

(١) نارودنايا فوليا (Narodnaya Volya)، وتعني بالعربية الإرادة الشعبية، وهي منظمة روسية سياسية ثورية في القرن التاسع عشر لاقت شهرة كبيرة لاغتيالها للقيصر ألكسندر الثاني وبسبب سريتها وقوتها مقارنة بالمنظمات التحررية الأخرى في الإمبراطورية الروسية. وفضلت تلك المنظمة استخدام الإرهاب السري المرتكز على المجتمع كمحاولة لزعزعة استقرار الإمبراطورية الروسية بعنف، ولإثارة الاستياء الشعبي ضدها من أجل التمرد، وبررت ذلك «كوسيلة لممارسة الضغط على الحكومة من أجل الإصلاح، وكشرارة من شأنها أن تشعل انتفاضة فلاحية واسعة، وكرد فعل لا مفر منه على استخدام النظام للعنف ضد الثوار ». كما طورت المنظمة أفكارًا مثل اغتيال «قادة الاضطهاد» والتي اصبحت من بعدها سمة مميزة للعنف ضد الدولة من جانب المجموعات والمنظمات. [المترجم]

(٢) كاربونيريـّا (Carboneria) أو مُشعلو الفحم، وهي جمعية سرية إيطالية تأسست في نابولي خلال بدايات القرن التاسع عشر لتحقيق أهداف قومية وتحررية، ولعبت دورا بارزاً في توحيد إيطاليا. [المترجم]

(٣) يلاحظ افتخار فاراندیان بتلك الثلة من القتلة وإطلاق اسم السادة عليهم رغم تلوث أيديهم بدماء شعبهم. [المترجم]

فإنه تحول تدريجيًا ضد العدو نفسه وها نحن نرى المئات من ضحاياه هم من الأتراك و الكرد و الروس أو من الطغاة الكبار أو الصغار... الخ».

أحد أكثر النتائج المؤسفة لهذه الأساليب الإرهابية كان الظهور والتطور التدريجي لفئة من الإرهابيين الذين استخدموا رصاصاتهم وخناجرهم عشوائيا سواء ضد من اعتبروهم خونة للقضية الأرمنية، أو من ساقهم سوء حظهم ليقعوا في خلافات شخصية مع قادة الطاشناق ويصنفوا بالتالي كأعداء لهم. تلك الفئة من الإرهابيين تمتعت بمكانة سامية ومكرمة داخل المجتمع (الطاشناقي والأرمني).

وترد في نهاية هذا الكتاب قائمة جزئية بضحايا إرهاب الطاشناق من الأرمن (انظر الملحق الأول).

الأنشطة ضد تركيا

في صــــيف عـام ١٨٩٠ تم تنظيم عصـــابـة من حوالي ١٠٠ من الأرمن المتحمســين في ألكســاندروبول[١] تحت قيادة ســاركيس جوجونيان وهو طالب جريء ومتهور من موســـكو. ثم عبرت المجموعة الحدود التركية في وقت ما في ســـبتمبر من ذلك العام، وجرت بعض المواجهات مع الأكراد. ومع ذلك عندما ظهر الجنود النظاميون الترك على الســـاحة، اضـــطرت المجموعة إلى الانسحاب. وتم قطع تراجعهم في القوقاز عن طريق القوزاق[٢]. وقُتل عدد كبير منهم وتم القبض على معظم الباقين ونُفيَ سركيس جوجونيان إلى سيبيريا.

وهكذا انتهى ما اشـــتهر بحملة جوجونيان، هذه الحملة التي لم يكن لمنظمة الطـاشـــنـاق المنشـــأة حديثا أي دور فيها. بل على العكس من ذلك حاول قادة الطاشـــناق إثناء جوجونيان عن تنفيذ خطته، واعتبروها حركة هوجاء ســـابقة لأوانها وضـارة. واعتقدوا في ذلك الوقت، أنه يجب أن يكون هناك تحضـيرات أكثر حذرًا وعمومية لقيام انتفاضة ضد تركيا.

(١) هي مدينة غيومري الأرمنية الحالية وكانت تدعى قبل ذلك ألكساندربول عندما كانت أرمينيا خاضعة للحكم الروسي القيصري، ثم سميت لينيناكان أيام الحكم السوفيتي. [المترجم]

(٢) القوزاق هم مجموعة أثنية من السـلافيين الشـرقيين الذين يقطنون بمعظمهم في السهوب الجنوبية في شـرق أوروبا وروسيا وكازاخستان وسيبيريا. واستخدم الروس القوزاق أولاً كمدافعين عن الحدود الروسية ولاحقًا كحراس متقدمين للتوسع الإقليمي للإمبراطورية الروسية القيصرية. [المترجم]

لكن سرعان ما تجاهلوا سياسة العمل الأكثر حكمة هذه، واعتمدوا أساليب المعارك المثيرة والمتقطعة والجزئية على طول حدود أرمينيا التركية. وجُربت هذه الطريقة لبضع سنوات، ولكن دون أن تحقق النتائج المرجوة. ولم تتدخل الحكومات الأوروبية لصالح الأرمن الذين تعرضوا - نتيجة لهذه الغارات - لمزيد من الاضطهاد المرير المنظم من قبل الأتراك والأكراد.

لقد جرب حزب الهانشاك[١] نفس الأسلوب في الأعمال المثيرة والمعارك المتفرقة في القسطنطينية وساسون[٢] و زيتون[٣] وأماكن أخرى، وفشل أيضا في تحقيق التدخل الأوروبي. لذلك تخلى (الهانشاك) عن هذه الأساليب باعتبارها عقيمة ومضرة.

---

(١) هو أقدم حزب أرمني، أسسته في ١٨٨٧ مجموعة من الطلاب الجامعيين في جنيڤ، سويسرا. وكان أول حزب اشتراكي يعمل في الدولة العثمانية وفي بلاد فارس، وكان هدفه الأصلي حصول أرمنيا على الاستقلال من الدولة العثمانية. [المترجم]

(٢) ساسون هي بلدة تركية تقع في محافظة بطمان كانت مركزا لتواجد الأرمن قبل إخراجهم منها، ويشكل الأكراد معظم سكانها حاليا. [المترجم]

(٣) أحد المناطق ذات الكثافة السكانية من الأرمن ضمن الدولة العثمانية، وظل سكانها متمتعين بالحكم الذاتي لفترة كبيرة خلال الحكم العثماني، وفي نهاية القرن التاسع عشر أنشأ حزب الهانشاك له فرعا في زيتون وحرض الأرمن على مواجهة الدولة العثمانية، فاضطرت الدولة لإرسال وحدة عسكرية من ١٢٠٠٠ جندي لاستعادة السيطرة الحكومية عليها وضاع امتياز الحكم الذاتي. [المترجم]

لكن الاتحاد الثوري الأرمني اعتقد أنه سينجح حيث فشل الآخرون. وتبعا لذلك قرر الطاشناق أن يحملوا المعركة إلى العاصمة التركية وعمل تحركات يكون من شأنها أن تهز عرش السلطان، وأن تتسبب في تدخل القوى الأوروبية وإجبار الحكومة التركية على تنفيذ الإصلاحات الموعودة للمحافظات الأرمنية، بموجب المادة ٦١ من معاهدة برلين. (انظر الملحق الثالث).

كانت القيادة العليا للاتحاد الثوري الأرمني قد قررت شن هجوم على البنك الإمبراطوري العثماني. ووفقًا لذلك، وفي اليوم الأول من شهر أغسطس عام ١٨٩٦، دخلت مجموعة من الشباب البنك في القسطنطينية، وأخضعوا الموظفين وحصنوا أنفسهم، ثم هددوا بتفجير البنك بالقنابل والديناميت؛ إلا إذا وعد السلطان بإجراء الإصلاحات الموعودة لأرمينيا.

ولم يحرك السلطان ساكنا، وشبه هؤلاء الثوار بقطاع الطرق واللصوص. ويذهب الدكتور جورج واشبورن، المبشر الشهير، إلى حد القول في كتابه أن عبد الحميد كان على علم بخطط الطاشناق، وسمح لهم بالدخول إلى البنك من أجل تشويه سمعة الثورة الأرمنية واستخدامها كذريعة لمذبحة.

وبعد الانتظار ليوم كامل دون جدوى، وعبر تدخل السفارة الروسية، اصطحبوا أبطالنا بأمان خارج البنك ووضِعوا على متن سفينة بخارية أوروبية وأنقذوا أنفسهم؛ بينما ذُبح ١٦٠٠٠ أرمني في القسطنطينية خلال اليومين التاليين للهجوم، على يد العوام الأتراك والجنود النظاميين[١].

ومع ذلك، تمسك قادة الطاشناق بفكرة أن الانتفاضات المتفرقة والمعارك الجزئية مع القوات المسلحة التركية، كانت ضرورية لتحقيق التدخل الدبلوماسي (الغربي).

يقول فاراندیان - المنظر الأيدلوجي والمؤرخ الأبرز للاتحاد الثوري الأرمني – أن غرض الحركة الأرمنية منذ البداية هو تنظيم معركة طويلة إلى أقصى قدر ممكن ضد الطغيان العثماني لخلق حالة ثورية مستمرة في البلاد، وأن نضع دائما أمام أعيننا تدخل طرف ثالث... الطرف الأوروبي.[٢]

لكنهم تجاهلوا الطرف الرابع والأهم وهو شعب أرمينيا التركية.

---

(١) من المؤكد أن الحكومة التركية كانت تعرف كل شيء عنها قبل عدة أيام، حتى بالوقت المحدد لدخول البنك، وقد اتخذ وزير الشرطة ترتيبات مفصلة لا لإلقاء القبض على هؤلاء الرجال أو منع الهجوم على البنك، ولكن لتسهيله وجعله مناسبة لمذبحة للسكان الأرمن في المدينة ». (د. جورج واشبورن، «خمسون عامًا في القسطنطينية»، صفحة ٢٤٦). [المؤلف]

(٢) M. Varandian,» History of the Dashnagtzoutune", page ٣٠٢.

فنظرًا لكونهم جميعًا من أرمن القوقاز، فإن هؤلاء الأشـــخاص لم يكلفوا أنفســـهم أبدا مشـــقة البحث عن الظروف الفعلية على الأرض في أرمينيا، والتشـــاور مع الأرمن في تركيا. حتى أنهم رفضـــوا التعاون مع المجتمعات السرية الأخرى المنظمة في أرمينيا التركية، والذين آمنوا فقط بأساليب الدفاع عن النفس ضد المضطهدين الأتراك والأكراد، وفي الإعداد الطويل والصامت لانتفاضة العامة في المستقبل البعيد. لكنهم اتبعوا طرقهم الكارثية فقط.

كانت هناك حملة عقيمة أخرى، تلك التي وقعت في صـــيف عام ١٨٩٧ وانتهت بالفشل أيضا، حملة خاناسور (Khanasor)[١]، وكانت محصلتها النهائية كارثية للسكان الأرمن في المقاطعة الواقعة بين فان وإيران. وتم القضـــاء على العديد من القرى الأرمنية نتيجة لهذه المغامرة من الطاشناق، الذين فر معظمهم هربا بجلودهم.

كانت حملة خاناسور[٢] الشهيرة نتيجة لمؤامرات السلطات الروسية، التي كان هدفها تشجيع الاضطرابات السياسية والقلاقل على طول الحدود الشرقية لتركيا. وهناك سبب للاعتقاد بأن بعض قادة الطاشناق في تفليس[٣] كانوا يلعبون لعبة الحكومة الروسية. ولقد عارض قادتهم الأكثر حكمة

---

(١) منطقة تقع بين مدينة وان الواقعة في شرق تركيا وإيران ويقطنها غالبية من الكرد. [المترجم]

(٢) حملة خاناسور غارة شنها الطاشناق الأرمن ضد قبيلة المازريك الكردية في ٢٥ يوليو ١٨٩٧. [المترجم]

(٣) الاسم السابق لمدينة تبليسي وهي عاصمة دولة جورجيا وأكبر مدنها، وكانت في الفترة من ١٨٠١ وحتى١٩١٧ تحت حكم الإمبراطورية الروسية، ومقرا للحاكم الإمبراطوري الذي يحكم جنوب وشمال القوقاز. [المترجم]

، وكذلك جميع المنظمات السياسية الأرمنية الأخرى عارضت ما يجري باعتباره سيجلب الفشل والكوارث المؤكدة. ومع ذلك تغلبت السلطات المركزية في تفليس على المعارضة المحلية هناك. وتم جمع مبالغ هائلة من الأرمن لتنظيم وتجهيز هذه الحملة؛ لذلك كان عليهم إظهار تحقيق بعض النتائج. وكان على السلطات الروسية أن تبدو مسرورة أيضًا.

كان الغرض المعلن من بعثة خاناسور هو معاقبة قبيلة مازريك الكردية، التي كانت وبالا على السكان الأرمن في تلك المناطق. وكان هناك حوالي ٢٥٠ مقاتلاً في الفرقة التي هاجمت معسكر قبيلة مزريك في سهل خاناسور قبيل الفجر، وأضرموا النار في أقرب الخيام وقتلوا بضعة أكراد. وشن التكتل الرئيسي للأكراد هجوما عنيفا وقتالاً مضادا دفع المهاجمين الطاشناق - الذين وقع فيهم الاضطراب - إلى إطلاق النار على بعضهم البعض.

كانت فرقة الطاشناق في خطر محاصرتها من قبل مقاتلي المازريك، واضطرت إلى التراجع إلى بر الأمان تاركة خلفها ١٩ قتيلاً في ساحة المعركة، وفقًا لتقرير الدروشاك «Droshak»، الجهاز المركزي التابع لحزب الطاشناق في ١١ نوفمبر ١٨٩٧.

نجا المازريك من العقاب، وعلى الرغم من الإعلان عن مقتل رئيس القبيلة شرف بيك في جميع أوراق الطاشناق منذ ذلك الحين، فإنه كان في الحقيقة لا يزال على قيد الحياة، وبعد مضي عشرين عاما على معركة خاناسور؛ نفذ انتقاما رهيبا من الفلاحين الأرمن المسالمين.

وحتى يومنا هذا يتم الاحتفال بمعركة خاناسور كل عام من قبل مجتمع الطاشناق، وجميع الأعضاء والعاملين في الاتحاد الثوري لديهم اعتقاد راسخ بأنه كان نصرًا رائعًا وأن «شرف بيك» السفاح المتعطش للدماء قد قتل في تلك المعركة!!.

تمرد منطقة ساسون الجبلية في عام ١٩٠٤، هو فصل آخر في الأنشطة الثورية للاتحاد الثوري الأرمني. كانت ساسون قد حملت السلاح ضد الأكراد والجنود الأتراك في عام ١٨٩٤، بقيادة الزعماء الهنشاك مراد ودماديان. هذه الحركة المبكرة التي قاتل خلالها سكان الجبال الأبطال بشجاعة، تم سحقها بلا رحمة على يد الجيش النظامي، ودمرت العديد من القرى وذبح الناس.

التمرد الجديد في عام ١٩٠٤ كان أفضل تنظيما، وقاده القائد أندرانيك[١] (Antranik) الذي كانت بطولاته الملحمية ضد العدو تشكل بعضًا من أكثر الصفحات المتوهجة من تاريخ الصراع الأرمني من أجل الاستقلال. ومع ذلك فإن نتائجها لم تكن مختلفة عن نتائج التمرد السابق. فبعد سلسلة من المعارك الطويلة، التي أظهر خلالها الفلاحون

---

(١) أندرانيك أوزنيان المولود في شابين – كاراهيسار (قاره حصار) ١٨٦٥، كان يعمل على تجارة والده قبل أن يلتحق بالاتحاد الثوري الأرمني، ثم كان قائدا عسكريا في ميليشيات الاتحاد من أواخر التاسع عشر إلى أوائل القرن العشرين، وتم تعيينه قائدا لقوات الاتحاد في ساسون ثم تدرج في المناصب حتى أصبح جنرالا، وواجه صعوبات وخلافات كثيرة مع الحزب. [المترجم]

وقادتهم الوافدون من الخارج شجاعة كبيرة وألحقت خسائر كبيرة بالقوات التركيـة، تم سـحق التمرد أخيرًا، وجرى تـدمير العـديـد من القرى الجبليـة، واضطر الثوريون إلى التراجع إلى مقاطعتي موش وبيتليس.

تسـببت واقعة سـاسـون الثانية هذه في ضـجيج أكبر قليلا في الصـحافة الأوروبيـة؛ وألقي عدد أكثر بقليل من الخطب الداعمة للقضـية الأرمينية من منصـة بعض البرلمانات الأوروبية؛ وجرى إرسـال بعض العملاء القنصـليين إلى موقع العمليات لإرسـال معلومات مباشـرة إلى حكوماتهم المعنية؛ وانتهى الحادث على ذلك بالنسبة للدبلوماسية الأوروبية.

العـامـل الثـالـث - التـدخـل الأوروبي - لم يظـهر أبـدًا أي علامـات على اتخاذ إجراءات فعـالة لإجبار السـلطان على تنفيذ أحكام المادة ٦١ من معاهدة برلين للإصلاحات الأرمنية.

هذه المعـارك التي جرت بعدد محدود من المقـاتلين وبـانتشـار متنـاثر في أماكن منعزلة. انطوت على تضـحيات كبيرة من العناصـر البشـرية والأموال، ولكنهـا لم تكن فعالة بما فيه الكفاية لانتزاع أقل تنازلات من حكومة السـلطان. وليس من المبـالغـة القول أن جميع الأنشـطـة الثوريـة للاتحاد الثوري الأرمني مجتمعة لم تكن تسـاوي -سـواء من حيث الحجم أو في النتائج الفعلية- تمرد بلدة زيتون في عام ١٨٩٥.

فلأكثر من ثلاثة أشـــهر دافعت هذه البلدة الجبلية عن نفســـها ضـــد جيش نظامي من ٣٠٠٠٠ جندي، تحت قيادة أدهم باشـــا، وأســـرت فوج تركي كامل وأجبرت الحكومة على التصـــالح ومنح قدر من الحكم الذاتي المحلي لمقاطعة زيتون. والاتحاد الثوري الأرمني لم يكن له أي دور في هذه المعركة التي لا تُنسى.

وتشــكل محاولة اغتيال الســلطان عبد الحميد عام ١٩٠٥[١] آخر حلقة من المحاولات الثورية التي قام بها الاتحاد الثوري الأرمني باســم أرمينيا التركية. كان هذا فصــلٌ آخر من أعمال الطاشــناق الاســتعراضــية وغير المجدية. كان نجاحها لن يساعد القضية الأرمنية؛ بل ربما فشلها أنقذ شعبنا من مصائب أكبر.

الكفاح الأرمني من أجل الاستقلال كان موجها ضـد الطغيان الأكثر قسـوة في العالم. كانت العقبات ســاحقة، ولم تســاعد الجغرافيا ولا الدبلوماســية الودية قضيتنا. هذه الحقائق أعطت الأرمنجانز[٢]

---

(١) عام ١٩٠٥م حاول الأرمن اغتيال السُـلطان عبد الحميد، حيث خطّطوا مؤامرتهم هذه في سـويسـرا؛ ويـذكر بعض المؤرخين أنـه من الممكن وجود بريطـانيـا خلفهـا، وكـان هـدفهم شــد انتباه الدول الأوروبية وقتل السُــلطان العثماني، فاتفقوا مع خبير بلجيكي مختص بهذه الأمور يدعى «جوريس» الذي لم يكن له علاقة لا بالأرمن ولا بقضيتهم ولكنه كان أجيراً. أتى جوريس إلى العاصمة إسطنبول كسـائح وخلال مراقبة السـلطان تأكد أنه لا يمكن الاقتراب منه إلا خارج مراسم صلاة الجمعة وأن المدة الزمنية التي يخرج فيها من الجامع قصيرة ومحددة ولا تتغير أبداً، فعزم على تنفيذ خطّته في هذا الوقـت، فوضـع القنبلة في عربة ثم تُركت على الطريق في اللحظة الأخيرة عند خروج السـلطان من الجامع. في هذه الأثناء خلافاً للعادة قام شـيخ الإسـلام جمال الدين أفندي باعتراض طريق السـلطان ليحدثه ببعض الأمور، فانفجرت القنبلة ولم يتضـرر السـلطان لوقوفه على عتبات الجامع، ومات في الحادثة مربيان اثنان من مربّي الأمراء والكثير من الجنود. تصرف عبد الحميد بهدوء تام بعد الحادثة فاسـتقلّ عربة قادها بنفسـه إلى القصر. قُبض على منفذي العملية وعوقبوا، وقبض على جوريس أيضاً لكن السـلطان منحه ٥٠٠ ليرة ذهبية وتركه، ويُذكر أن جوريس هذا أرسـل لعبد الحميد معلومات مهمة من أوروبا في السنوات التالية. ويكيبيديا. [المترجم]

(٢) الأرمنجانز هم أول تجمع ثوري أرمني تشكل في فان (VAN) غربي أرمينيا، وأداره القادة المحليين الذين آمنوا فقط في الوطنية وليس في عقيدة أخرى. ودعوا إلى الدفاع عن النفس وحاولوا إعداد الناس للانتفاضة في المستقبل. وبعد ذلك انضموا إلى حزب رامغافار (الحزب الديقراطي الليبرالي الأرمني). [المترجم]

والهنشاك[1] درسًا هاما جعلهم يتخلون عن أسلوب التمرد المسلح بأعداد صغيرة، رغم ما حققوه سابقا من مآثر قليلة مذهلة.

لم يكن الطاشناق ليتعلموا أي دروس من تجارب الآخرين. كان مذهبهم هو أن الحرية يتم كسبها عن طريق إراقة الدماء فقط، وأنه كلما استُفز السلطان لعمل مذابح للشعب الأرمني، كلما كانت مطالباتنا بالحكم الذاتي أقوى، وكلما أصبح الأمل في التدخل الأوروبي أكبر.

وكما ذكرنا من قبل، فإن هذا التدخل المتوقع لم يتحقق أبدًا، بل وتركوا السلطان حرًا في التعامل مع الأرمن حسبما يراه مناسبًا.

السنوات العقيمة والمُهدرة من الكفاح ضد الحكومة التركية أرغمت أخيرًا الزعماء الروحيين للطاشناق - الذين أداروا الكفاح من ملاجئهم الآمنة في جنيف وتيبليسي - إلى الاعتراف بهزيمتهم، ولكن ليس جهلهم.

يقول مايكل فارانديان في الصفحة ١٩١ من خريطته «تاريخ الطاشناق»، «لقد هُزمنا، ثم يضيف على الفور،» لكن العدو أيضًا لم يخرج منتصرًا ». هذه الجملة الأخيرة تعبر ببساطة عن التبجح المميز لعقلية الطاشناق.

(١) تمت الإشارة إليه سابقا. [المترجم]

وعلى الرغم من أن معظمها كارثية في نتائجها النهائية، إلا أن الثورة الأرمنية خلقت انطباعًا مفيدًا بين الأتراك والأكراد، مفاده أن الكفار الأرمن المقهورين منذ زمن طويل يمكنهم رد الضربة على الطغاة. بعض المقاتلين الحقيقيين ظهروا من بين الناس، وهم الذين غرسوا الرعب في قلوب الأتراك. والمكانة التي حازتها مختلف المجتمعات الثورية تم بناءها على الشجاعة الشخصية لهؤلاء الوطنيين المقاتلين، الذين، مثلهم مثل أندرانيك العظيم، باتوا يرمزون فيما بعد لنضال الأرمن من أجل الاستقلال .

واستغل الطاشناق شهرة ومكانة أندرانيك وغيره إلى أقصى حد. وقُدمت هذه الشخصيات البطولية على أنها منتج للمدرسة الثورية للحزب.

إليكم ما يقوله الجنرال أندرانيك عن هذا النوع من الاستغلال من قِبل الطاشناق:

- «يقولون، لقد كنت الطفل المدلل للطاشناق، لكن لحسن الحظ لم يكن أستاذي الثوري عام ١٨٨٩ هو الطاشناق، ولا أستطيع أن أفهم ما هو الحق الذي يمكن لأي حزب أن يمتلكه للادعاء باتباع الناس له في الماضي، خاصة عندما يكون حاضره بالكامل ضد عقائد الماضي وضد الروح الوطنية؟

- كان من الأفضل أن يكون لحزب الطاشناق أبطال مشهورون ومجهولون خاصون به وتتلمذوا على يد مثقفين ينتمون للحزب».

- «لعقود من الزمن كان شعب ساسون وموش وأخلاط[1] والشعب الأرمني بشكل عام ممن ساندوني وساندوا جنود آخرين مثلي، هم فقط من كنا جنودهم وليس جنود الطاشناق أو أي حزب آخر.

- «عندما كان هؤلاء الجنود الشجعان، الذين نبعوا من حضن الشعب الأرمني يقاتلون في بلدهم الأم... كان الطاشناق يخوضون جدالات حزبية على صفحات جرائدهم بالخارج ويستغلون أسماء زملائي من المقاتلين الأفذاذ. لذلك من الصعب أن نفهم، هل كنا نحن المقاتلون من غذينا حزب الطاشناق وأفسدناه أم أن هذا الأخير هو من أفسدنا؟

- اليوم حزب الطاشناق محروم من الحق في التحدث باسم أولئك الأبطال الذين سقطوا[2]».

* * *

(١) أخلاط مدينة ومنطقة تاريخية في تركيا. تقع في محافظة بدليس في منطقة الأناضول الشرقية. [المترجم]

(٢) الجنرال أندرانيك يتحدث، صفحة ٤، ٥، ٦.

Antranik Speaks , pages ٤, ٥, ٦, Paris ١٩٢١.

موالاة الاشتراكية

عندما أصــدر القيصــر الروســي مرســومًا في عام ١٩٠٣، والذي بموجبه ســتقوم الحكومة الروسـية بمصــادرة ممتلكات الكنيســة الأرمنية. هب الناس في صـعيد واحد دفاعً عن حقوقهم. وقامت السلطات في القوقاز، من أجل إضـعاف الشــــعب الأرمني، بتحريض التتار المســــلمين على مهاجمتهم. وزادت أعمال الشـغب والقتل إلى حد وقوع المذابح في العديد من المدن؛ بينما صـمّت الشـرطة والقوزاق آذانها عن استغاثات الأرمن من أجل الحماية. ثم حمل الأرمن السلاح ودافعوا عن أنفسهم بفعالية كبيرة ضد هذا الهجوم المزدوج.

بطبيعـة الحـال لعبت الجماعات الثورية -مع تنظيمها وقيادتها دورا هاما في هذا الصـراع- وفاز حزب الطاشـناق بثقة وشـهرة كبيرة لمشـاركته في المعركة. ومع ذلك فإن ادعاءات كُتاب الطاشـناق، أن منظمتهم الخاصـة وقادتهم الحزبيين لعبوا الدور الرائد في هذه المعارك الضــــروس؛ يبدو مبالغا فيه إلى حد كبير. وروايات هذه المعارك التي استمرت قرابة عام ونصف (١٩٠٥-١٩٠٦) والتي انتصــر فيها الأرمن جاءت في معظمها من كُتاب الطاشــناق، والذين بالغوا في تقدير أهمية الاتحاد الثوري الأرمني كأحد العناصر المشاركة في القتال.

بحسب «هوفانيس كاتشازنوني»[1]، لم يأخذ الاتحاد الثوري الأرمني زمام المبادرة في هذا الكفاح الوطني؛ بل تتبع خطوات الحركة الشعبية. إليكم ما يقوله هذا الزعيم المخضرم في حزب الطاشناق والذي كان رئيس وزراء جمهورية أرمينيا في الفترة من ١٩٠٥ إلى ١٩٠٦؛ حول هذا الموضوع:

«في منطقة القوقاز، لم يكن حزب الطاشناق في الماضي يشبه كثيرا القائد أو المبادر؛ بل كان مقلدا لتلك الحركات التي نمت بشكل مستقل في حد ذاتها. وكان على هذا الوضع عام ١٩٠٣ عندما اندلع التمرد والمظاهرات بسبب مصادرة ممتلكات الكنيسة. وكان هكذا أيضا خلال الفترة من ١٩٠٥-١٩٠٦ (وقت صراعات الأرمن والتتار الدموية)، وكان كذلك خلال اندلاع أول حركات عمالية كبيرة (١٩٠٣-١٩٠٦)، عندما كان حزب الطاشناق في باكو وتيفليس وبطوم يُدار عبر سياسة وطريقة عمل الأحزاب الاشتراكية الأجنبية»[2].

هذه الصراعات وأيضًا الحركات الثورية الأولى التي اندلعت في القوقاز بعد الحرب الروسية اليابانية، دفعت الشعب الأرمني ومنظماته إلى الاتصال والتقارب الوثيق بالأحزاب الاشتراكية الروسية.

---

(١) هوفانيس كاتشازنوني كان أول رئيس وزراء للجمهورية الأرمنية الأولى من ٦ يونيو ١٩١٨ وحتى ٧ أغسطس ١٩١٩، وكان عضوا وقياديا بالاتحاد الثوري الأرمني. [المترجم]

(٢) A. R. Federation Has Nothing More to Do", pages ٧-٨, by Hov. Kachaznouni, Vienna, ١٩٢٣.

العديد من قادة الطاشناق في القوقاز كان لديهم ميول اشتراكية بالفعل؛ وقد اعتنقوا الفكرة المشرقة القاضية بأن التبني المفتوح للاشتراكية كبرنامج سياسي؛ سيضمن دعم القادة الاشتراكيين الروس والأوروبيين للقضية الأرمنية. وتبعا لذلك وتقريبا في عام ١٩٠٦، شايعوا الثوريين الاشتراكيين في روسيا. كانت هذه الخطوة تعني انحرافًا عن برنامجهم الأصلي لتحرير أرمينيا التركية، وقد عارضها بشدة بعض من أبرز المقاتلين في صفوف حزب الطاشناق، مثل أندرانيك، مراد، ميهران، إلخ ومعظمهم من أرمن تركيا.

هؤلاء الرجال كانوا وطنيين أنقياء وبسطاء. لم يُلقوا بالا إلى الاشتراكية أو غيرها من المذاهب. لكن ميهران لا يستطيع الوقوف أمام آراء المثقفين والهيئة السرية للطاشناق؛ لذلك قتلوه في أحد الأيام.

في اتفاقية فيينا، التي عقدت في عام ١٩٠٧ ، أدان الطاشناق ميهران وحكموا عليه بالموت .

وإليكم ما كتبه فاراندیان عن هذا القرار:

«وأخيرًا إليكم قرار الاجتماع حول ميهران، والذي صدر بالإجماع ما عدا واحدًا - :

- «أولا: اعتبار سلوك ميهران وشركائه بمثابة جريمة خطيرة ضد المنظمة والقضـــية التركية الأرمنية التي تدافع عنها. على هذا الأســـاس، اعتبارهم مطرودين من صفوف الطاشناق.»

- «ثانيا: التوصـية للهيئة المناسـبة، بإخضـاع ميهران وشـركائه للعقوبة المنصوص عليها في اللوائح الداخلية للمنظمة».

وسرعان ما تم تنفيذ عقوبة الإعدام.[١]

ومع ذلك لم تتوقف المعارضة عند هذا الحد. ففي نفس المؤتمر المشار إليه ســابقا والمقام في فيينا عام ١٩٠٧، اعتمد حزب الطاشـــناق برنامج الثورة الاشـتراكية وصـدق عليه، واعترض على ذلك بعض أكثر قادة القتال شـــهرة ومكانة، وكان من بين هؤلاء القائد أندرانيك والذي هجر الحزب. كانت مكانة أندرانيك وسط صـفوف أعضـاء الطاشـناق وقواعده كبيرة جدا بحيث لم تجرؤ هيئة الحزب على التعامل معه كما فعلت مع ميهران.

والبك ما قاله الجنرال أندرانيك حول مؤتمر فيينا في كتيبه «أندرانيك يتحدث» في الصفحات ٧-٨-٩-١٠:

(١) M. Varandian, 'History of the Dashnagtzoutune, page ٤٩١, Paris, ١٩٣٢.

في اتفاقية فيينا، في عام ١٩٠٧، تبنى حزب الطاشـــناق برنامج القوقاز، هذا يعني أنه تخلى عن هدفه الحقيقي، وهو تحرير الشـــعب الأرمني في تركيا، من أجل تحقيق أغراض ذاتية. وهذا يعني - إلى حد ما- دفن القضـــية التركية الأرمنية.

- لمدة ثلاث أيام نوقش خلالها برنامج القوقاز؛ عارضته بكل روحي. حتى أن مالوميان (Maloumian)، الذي كان يترأس المؤتمر ذلك اليوم قد احتج وأعلن أنني أنا وبضعة آخرين معي المسئولون عن إطالة المؤتمر.

- ثم أجبت: فلتحمل وزر من سـيدفعون ثمن فعلتك. افعل ما يحلو لك، لكن لا تغلق أبواب روسـيا ضـدنا. فلدينا العديد من الأعداء بالفعل، لا تصـنع من روسـيا عدوًا لنا أيضًا؛ ولا تقدم لهم أي ذريعة ليصـنعوا بأرمن القوقاز ما حل بأرمن تركيا.

«اعتبرت أنه من غير المجدي بالنسـبة لي البقاء في حزب الطاشـناق، وقد كتبت اســتقالتي من فارنا[١] وأرســلتها إلى جنيف، حتى يمكن نشـــرها في الدورشاك[٢].»

(١) فارنا هي ثالث أكبر مدينة بلغارية. [المترجم]

(٢) الدورشاك هي الدورية الرسمية للاتحاد الثوري الأرمني. [المترجم]

- منذ ذلك اليوم فصاعدًا، بعدما رأيت أفعال حزب الطاشناق، أصبحت أكثر ثباتًا في قناعاتي التي أدت إلى استقالتي.

- في الواقع، بعد ذلك رأيت أن الطاشناق اتخذوا من اضطهاد البرجوازية الأرمنية وظيفة لهم[1].

ومع افتراض أن الحزب يعمل لحماية حقوق العمال؛ فقد تسبب في إضرابات في باكو وباطوم. ولم تؤذي هذه الإضرابات سوى الأرمن مالكي شركات النفط، والذين غالبًا ما كان الاتحاد الأرمني نفسه يتوسل إليهم من أجل المال. واضطر العديد منهم إلى إغلاق مصانعهم وهذا أسعد التتار[2] أصحاب المصانع الأخرى. وطُرد عشرات الآلاف من العمال الأرمن إلى الشوارع يطوفون فيها دون عمل.

---

(١) يعني بذلك ابتزاز أغنياء الأرمن لتمويل الهيئة السرية للاتحاد الثوري الأرمني كما سبق ذكره في موضوع التمويل. [المترجم]

(٢) شعب التتار المقيم في إمارة القرم والمناطق الأخرى التي حولها، ومعظمهم مسلمون، وهم من بقايا القبائل التترية والمغولية التي جاءت من أواسط آسيا مع غزوات جنكيز خان وأبناءه من بعده ن وشكلوا دول وإمارات في المنطقة، ثم زالت بعد ذلك وانضوت تحت حكم دول أخرى. [المترجم]

وبعد إنشاء «النظام الدستوري العثماني»، نشر حزب الطاشناق إضراباته من القسطنطينية حتى وصلت إلى مصانع السجاد في خربوط[1] وسيباستيا[2].

منذ ذلك الوقت، ظل حزب الطاشناق مخلص لأهدافه الاشتراكية. عندما كان لدينا أرمينيا مستقلة كانوا يبشرون بالاشتراكية من كاراباخ إلى صاري قامش. إلى الشعب الأرمني الذي لم يكن ٨٠ في المائة منه يعرفون الأبجدية (أميون). أرادوا تعليم الاشتراكية للأتراك والتتار أيضًا: وهم يصرخون في أجهزتهم « أيها العمال، توحدوا دون تفرقة بسبب العرق».

كان لمؤازرة وتبني الاشتراكية عواقب وخيمة أخرى على حزب الطاشناق والشعب الأرميني. ففي الحال بدأت الحكومة الروسية القيصرية في اضطهاد الثوار الأرمن مثلما تفعل بحلفاء الجماعات الثورية الروسية.

(١) خربوط أو خربرد مدينة تقع شرق الأناضول ويطلق عليها بالتركية الإزغ أي معمورة العزيز، وكانت سابقا من المناطق ذات الأغلبية الأرمنية. [المترجم]

(٢) سيباستيا باليونانية أو سيواس بالتركية هي عاصمة محافظة سيواس وتقع في وسط تركيا. [المترجم]

في السابق؛ كان التسامح مع أنشطة حزب الطاشناق في أرمينيا القوقازية من قبل السلطات الروسية على أساس أنها موجهة ضد تركيا فقط. لكن الآن وبعد أن رأى القيصر ووزرائه خطرًا كبيرًا في وجودهم على الأراضي الروسية. تم القبض على القادة ونفيهم واضطهادهم، وأصبح الطاشناق، وفقا لمتفلسفيهم، يقاتلون سلطات كل من السلطان التركي والقيصر الروسي.

وأصبح وضع الأرمن في القوقاز لا يطاق، وحُرمت الثورة من قاعدتها الوحيدة التي يمكن منها تنظيم وبدء العمليات ضد تركيا. من ناحية أخرى فشلت الاشتراكية الأوروبية في القدوم للمساعدة، بالضبط كما فشلت الدبلوماسية الأوروبية من قبل. وكانت النتيجة النهائية هي مضيعة هائلة للجهود، واشتعال الانقسامات الداخلية.

* * *

حزب الطاشناق وحركة تركيا الفتاة

رغم أن حزب الطاشناق كان مكرسا نفسه من أجل التحرير الأرمني فإنه نبذ المبادرات التي طرحها عليه القادة الأتراك الشباب في أوروبا كي يتعاون في الإطاحة بطغيان عبد الحميد. ثم بعد أن بدأوا في ممارسة السياسة الرفيعة، توصلوا إلى تفاهم مع الثوار الأتراك. وفيما يلي بعض أسس هذا الاتفاق بين الطاشناق وتركيا الفتاة، والذي وُضِع في باريس عام ١٩٠٧ :

١- تخلي الأرمن عن مطلب إنفاذ المادة ٦١ من معاهدة برلين[١]، هذا يعني أن الأرمن لم يطلبوا إجراء إصلاحات منفصلة من أجل أرمينيا، لكنهم كانوا سيعملون من أجل حكومة دستورية لتركيا ككل ويصبحون مواطنين، مع المساواة في الحقوق، في الإمبراطورية العثمانية.

٢- التمرد على الحكومة القيصرية في القوقاز؛ وتحرير مختلف شعوب القوقاز - بما في ذلك الأرمن - من روسيا ليدخلوا تحت هيمنة تركيا. كان حزب الطاشناق سيلعب دورا رئيسيا في هذا التحرك ضد روسيا.

---

(١) انظر الملحق الثالث.

٣- تقليص الامتيازات التي يتمتع بها بطاركة الأرمن في القسطنطينية، تحت حكم فرمانات السلاطين القدامى، مقابل منح الأرمن نوعًا من الاستقلال الذاتي في الشؤون المجتمعية الكنسية والتعليمية الأرمنية البحتة. (هذه الامتيازات كانت هي التي مكّنت المجتمع الأرمني من الوجود والحياة في ظل الاضطهاد والاستبداد التركي).

بعد ثورة تركيا الفتاة في يوليو ١٩٠٨، عندما ظهر حزب الطاشناق لأول مرة في تركيا بشكل علني وكحزب سياسي قانوني، وأعلن الأتراك الشباب الحكومة الدستورية؛ تم تخصيص عدد قليل من المقاعد لزعماء الطاشناق في برلمان الدولة العثمانية. كان أحد أول أعمال نواب الطاشناق هو موافقتهم على قرار يقترح فيه الأتراك إلغاء المادة ٦١ من معاهدة برلين. وقد أثار هذا على الفور معارضة بين المسؤولين الأرمن والشعب الأرمني.

* * *

ضد الكنيسة

لم يكن الزعماء المثقفون في الاتحاد الثوري الأرمني ودودين أبدًا تجاه الدين بشكل عام، وتجاه الكنيسة الأرمنية بشكل خاص. كان موقفهم هو أن الكنيسة يجب أن تقتصر على الأنشطة الدينية والطقوس فقط، ويجب ألا تلعب أي دور آخر في المجتمع الأرمني أو منظومة الحياة الاجتماعية للشعب الأرمني.

مثل هذا المذهب لا يمكن تصوره حتى في ظل المؤسسات الحرة في البلدان المتقدمة مثل الولايات المتحدة أو انجلترا، حيث الكنيسة دائمًا مقبولة كقوة فاعلة في الرفاه الاجتماعي للمجتمع. وفي ظل الأنظمة الحكومية الكائنة في روسيا القيصرية وتركيا؛ فإن تنظيم الحياة الوطنية والمجتمعية للشعوب الخاضعة لها يدور حول مؤسساتها الدينية، لذلك فإن تطبيق المبادئ الراديكالية (المعادية للدين) التي دعا إليها قادة الطاشناق كان أمرًا سخيفًا وكارثيًا.

ومع ذلك، بمجرد اعتماد الاشتراكية من قبل قيادة الطاشناق كبرنامج للحزب، انطلقوا بحماس أعمى إلى وضعها موضع التطبيق في الحياة الوطنية الأرمنية.

ثم أعلن القيصر الروسي شكلاً دستوريًا لحكومة إمبراطوريته. وساد مناخ أكثرُ ليبرالية في الحياة السياسية في القوقاز. ومستغلاً لهذه الفرصة، أمر قداسة خريميان هايريك[١]، الذي كان آنذاك الكاثوليكوس[٢] لجميع الأرمن، بعقد اجتماع كنسي لأرمن روسيا والذي عُقد في إتشميادزين [٣]. كان الغرض من المؤتمر على النحو الذي وضعه قداسته؛ هو اعتماد تدابير لتحسين المدارس الأرمنية وتنظيم وزيادة إيرادات الكنيسة. ووضع دستور لإدارة شؤون الكنيسة والمجتمع يكون أكثر انسجاما مع المصالح الأرمنية بدلا من «بالاجينيا» (Balagenia)، وهو قانون صادر عن الحكومة الروسية لإدارة شؤون الكنيسة الأرمنية.

(١) كان زعيم الكنيسة الرسولية الأرمنية، وشغل منصب بطريرك القسطنطينية (الشخصية الأكثر نفوذا في المجتمع الأرمني العثماني) ما بين عامي ١٨٦٩ إلى ١٨٧٣. وكان رئيس الوفد الأرمني في مؤتمر برلين عام ١٨٧٨ وبعد عودته كان من قيادات الكفاح المسلح ضد الدولة العثمانية، وأصبح رئيسا للكنيسة الأرمنية بالانتخاب عام ١٨٩٢ وحتى وفاته عام ١٩٠٧. [المترجم]

(٢) كاثوليكوس كل الأرمن هو الأسقف الكبير والزعيم الروحي للكنيسة الأرمينية الوطنية، و الكنيسة الرسولية الأرمنية، والشتات الأرميني في جميع أنحاء العالم. [المترجم]

(٣) إتشميادزين تعرف حاليا بفاغارشابات وهي مدينة أرمنية في مقاطعة أرمافير وبها مقر كنيسة الأرمن الأرثوذكس. [المترجم]

اجتمعت الجمعية الكنسية في أغسطس عام ١٩٠٦ في إتشميادزين، وافتتحت رسـميًا من قبل قداسـة الكاثوليكوس. ولأن الأغلبية السـاحقة من المندوبين العاديين هم من الطـاشـــنـاق فقد تولى هؤلاء المســؤولية. وأثناء إدارتهم للمؤتمر تجاهلوا الطبيعة الكنسـية للتجمع وضـاع صـوت رجال الدين، وتحولت الجمعية الدينية إلى اجتماع سياسي.

ويتحدث رئيس الأســاقفة أورمانيان[١] في كتابه «قوات الدفاع الشـــعبي» (Azkabadoum)[٢] عن هذا الاجتماع على النحو التالي: «أولئك الذين حضروا التجمع أهملوا من اليوم الأول مجال المشـــاكل التعليميـة والماليـة والانتخابية، التي كـانـت قـد حُـددت لهم، وبـدأوا في غزو المجـالات الأخرى... وأعلنوا أن الكنيسـة الأرمنية ورجال الدين ضـارين بالشـعب الأرمني؛ وأثاروا العداء القديم للكنيسـة، وأعلن عن حملة ضـد وزراء الكنيسـة. حتى أن سلطة الكاثوليكوس قد أهينت، على الرغم من حقيقة أن وجودهم وأنشطتهم نشأت فيه[٣].

---

(١) ماليخيا أورمانيان (Malachia Ormanian) بطريرك الأرمن في القسـطنطينية من ١٨٩٦ وحتى ١٩٠٨ وكان عالم لاهوت ومؤرخ. [المترجم]

(٢) تاريخ مفصل للكنيسة الأرمنية الرسولية في ثلاثة أجزاء، تأليف ماليخيا أورمانيان. [المترجم]

Azgapatum [National History] by Malachia Ormanian.

(٣) Ormanian,» Azkabadoum", pages ٥٣٢٣, ٥٣٢٤, ٥٣٢٥, ٥٣٢٦.

وفقًا للرواية التي قدمها م. فاراندیان عن هذه الجمعية الكنســية، اعتمد البرنــامج على أن «الممتلكـات المملوكـة للكنــائس والأديرة تُحوّل إلى حيـازة الشـعب نفســه؛ وأن الكاثوليكوس ورجال الدين بالكامل لديهم سـلطة تعامل فقط مع المشـاكل الدينية البحتة والعقائدية والطقوس. وليس لهم أي صـلة مع مختلف المؤسسات والشؤون الوطنية؛ وأن هذه الشؤون الزمنية تكون محكومة من الآن فصـاعدا بالهيئات الزمنية المنتخبة عن طريق الاقتراع الشـعبي والعالمي؛ القائم على السرية والمساواة، إلخ"[1].

يقول فاراندیان آسـفا؛ «لسـوء الحظ كل هذا كان يجب أن يبقى على الورق فقط»، لأنه لا يمكن لخريميان هايريك ولا الأقلية العاقلة في الجمعية؛ أن تتسامح مع هذه المحـاولـة لإعـادة تشــكيل الكنيســة الأرمنيـة وفقًـا «للروح الليبراليـة لإيـديولوجية الطاشـــناق». ولم يلمس الكاثوليكيوس في هذه المهزلة الخاصـــة بالجمعية ســوى الخطر على الكنيســة، وهذا على الأرجح هو ما دعا ســلطات الشرطة إلى إيقافها.

إن محـاولـة حزب الطـاشـــنـاق لتجريد الكنيســـة من ممتلكـاتها ووظـائفها واسـتغلالها لأغراضـه الخاصـة كان أمرا محبطا. كانت الكنيسـة والشـعب قد أنقذوا للتو حقوقهم المقدســـة من التعدي عليها من القيصـــر الروســـي، ولن يتسامحوا أبدا مع التعدي عليها من جانب النهابين الأرمن.

---

(١) فاراندیان، تاريخ حزب الطاشناق صفحة ٤٧٢.

كـان التحريض ضـــد الكنيســـة في أرمينيـا التركيـة، والـذي بـدأه حزب الطـاشـــناق بعد فترة وجيزة من إعلان الحكومة الدســـتورية في تركيا؛ مجرد مرحلة أخرى من الموقف العدائي لهذه الجماعة تجاه الكنيسـة والدين. وكان هذا التهييج له غرضـه، أن يتم فتح جميع الكنائس الأرمنية لعقد اجتماعات سياسـية. وعارضـــت ســـلطات الكنيســـة والشـــعب هذا التحريض بشـــدة، وكانت هناك انقســـامات ومعارك واســـعة النطاق في كل جماعة أرمنية. وكان معروفا باســـم «جدال الفتح والإغلاق» واستمر لثلاث سنوات.

في كثير جدا من الحالات، دفع قادة الطاشـــناق أتباعهم لاقتحام الكنائس وفتح الأبواب عنوة، وبدء اجتماعاتهم الســـياســـية، واســـتعمال مذبح الكنيســـة ومنبرها كمنصة لهم.

كـان ذلـك النزاع غاية في العنف، لدرجة وقوع حالات عديدة من الصـــدام بين المتنـازعين، وفي حـالـة واحدة على الأقل كـان هنـاك أرمينيـان أرادا حماية كنيســـة ســـميرنا[١] (Smyrna) من التدنيس، عندها وفي نفس المكان أطلق عليهم إرهابيو الطاشناق النار وقتلوهما .

(١) ســميرنا هي مدينة إغريقية قديمة تقع على الســاحل الغربي للأناضــول على البحر الأبيض المتوسط. يعود تــاريخ تأســيس المدينة إلى القرن الحادي عشــر قبل الميلاد. وتقع أطلالها ضـــمن مدينة إزمير التركية. [المترجم]

شـــجعت لجنـة الاتحـاد والترقي ـ الحلفاء الأتراك لحزب الطاشـــناق والذين سـيطروا على الحكومة التركية ـ هذه الخلافات الداخلية سـرًا، وتعاملت الشـرطة والمحـاكم التركيـة بمنتهى التســـاهل واللين مع منتهكي القـانون والنظـام العـام من الطاشناق.

هذه الحركة ضـد الكنيسـة كانت مدعومة بشـكل جيد من قبل دعاية معادية للدين، تم شـــنها بانتظام في منشـــورات الطاشـــناق اليومية والدورية. وباعتبار كونهم اشـتراكيين اعتنقوا الفكر حديثا، فقد اعتبروا كل شـيء دينيًا وكنسـيًا على أنه مفارقات تاريخية رجعية وتعود إلى العصـور الوسـطى. لسـوء الحظ العديد من الشـــباب الأرمني اتبعوا هذه التعـاليم. وتم تقويض الإيمـان بالدين واحترام الســـلطـة الأبويـة والمُثل الاجتمـاعيـة القويـة الأخرى في قلوب العديد من جيل الشباب.

وتصـــاعدت الحركة المناهضـــة للديانة إلى أقصـــى درجاتها، حتى أن كبار الشخصيات الكنسية عوملوا بفظاظة وعدم احترام من قبل قادة الطاشناق.

ســـأذكر مثالاً صـــارخًا على عدم الاحترام هذا للدين والســـلطة الدينية. أن اجتماع المجلس الوطني الأرمني، والذي كان بمثابة هيئة تشـريعية، دائمًا يفتتح بتأدية صـلاة يتلوها رئيسـه البطريرك والذي هو أيضـا رئيس أسـاقفة. وجرت العادة على أن يُطلب من أعضاء المجلس الوقوف خلال هذه الصلوات.

وفي إحدى المرات، بينما كان البطريرك يتلو الصلوات الإلهية، قام السيد شاهريجيان (Shahrigian) زعيم مجموعة الطاشناق في المجلس، وهو شخص رفيع المستوى في الحزب، بالبقاء جالسا واضعا إحدى ساقيه على الأخرى، وأعلن فيما بعد أن الدين لا يعني له شيئا.

إن معارضة رجال الدين والناس لخطط الحزب في استخدام الكنائس لعقد الاجتماعات السياسية؛ انبثقت أولاً من المبادئ الدينية، فمباني الكنيسة كانت للعبادة فقط. ثانيًا استخدم قادة الطاشناق - الذين ادعوا أنه ليس لديهم قاعات اجتماعات أخرى - هذه الكنائس حيثما استطاعوا ذلك في اجتماعات جماهيرية ضد الحكومة الروسية. والتي اكتشفت في هذه الفترة (١٩٠٩-١٩١٢) مؤامرة مزعومة من حزب الطاشناق ضد السلطات في القوقاز، وسُجن العديد من قادتهم. مثل هذه الحركة ضد روسيا كانت مقبولة لدى الأتراك الشباب، لكنها تحرج قداسة الكاثوليكوس في إتشميادزين[١]، وستعرض للخطر موقف الأرمن في روسيا.

ولا يمكن أن تسمح البطريركية باستخدام الكنائس لمثل هذا التحريض.

(١) كاتدرائية إتشميادزين هي الكنيسة الأم للكنيسة الأرمنية الرسولية، وتقع في مدينة فاغارشابات (إتشميادزين)، أرمينيا، ووفقًا للمؤرخين كانت أول كاتدرائية بنيت في أرمينيا القديمة، وتعتبر أقدم كاتدرائية في العالم. [المترجم]

وبعد إلقاء المجتمع الأرمني بأكمله في حالة من الخلاف والاضطراب، انتهى جدال «الفتح والإغلاق» هذا بهزيمة قيادة الطاشناق.

اعتمد الأرمن والسلطات الأرمينية في تركيا على معارضتهم للطاشناق بشكل أساسي على النقاط التالية:

١- قادتهم كانوا من الأرمن الروس وبالتالي يجهلون الظروف الخاصة بتركيا؛ لكنهم أبرموا اتفاقات مع السلطات التركية متجاوزين بذلك الهيئات الرسمية القائمة.

٢- خلال الفترة من ١٩٠٨ - ١٩١٤ أحبطوا جهود الأحزاب السياسية الأرمنية الأخرى والبطريركية لتنظيم جبهة موحدة ضد الحكومة التركية. وكانوا يفضلون التحالف مع تركيا الفتاة، وليس مع بني جلدتهم[١]. وكان الاعتقاد السائد هو أن قادة الطاشناق تم شراؤهم؛ مقابل امتيازات خاصة ومقاعد في البرلمان ومناصب.

---

(١) وجدت حركة تركيا الفتاة أو ما يسمى بالأتراك الشباب، التي سيطرت على الحكومة العثمانية في هذه الفترة، في الاتحاد الثوري أدوات جاهزة ومستعدة لتنفيذ برنامجهم لإضعاف السلطة السياسية للبطريركية الأرمنية. التي مثلت الأمة الأرمنية أمام الحكومة التركية. وشجعت تركيا الفتاة قادة الطاشناق في محاولاتهم لإعادة تنظيم البطريركية وغيرها من المؤسسات الكنسية اعتمادًا عليها، ووفقًا «للروح الليبرالية في أيديولوجية الطاشناق». بعد التأكد من أن نجاحهم سيعني إضعاف الجالية الأرمنية في جميع أنحاء تركيا. حتى بعد مذابح أضنة عام ١٩٠٩، حيث قُتل ٢٠ ألف أرمني، دعم حزب الطاشناق وجهة النظر التركية. وأضعفوا موقف البطريركية التي طالبت بعقوبة سريعة وجذرية للمحرضين على تلك الجريمة النكراء.

٣- كان برنامجهم الاشـــتراكي ودعايتهم بين الشـــباب والفلاحين بغيض بالنســـبة للأرمن، الذين اعتقدوا أن مثل هذه المذاهب ليس لها مكان في النضال من أجل الحرية السياسية.

٤- إن دعايتهم ومنشـــوراتهم المناهضـــة للدين قد تســـببت في تقويض أخلاق الشباب.

الحرب العالمية

عندما اندلعت الحرب العالمية في أوروبا، بدأ الأتراك الاستعدادات المحمومة للانضمام إلى الألمان. في أغسطس ١٩١٤، ثم في جلسة في أرضروم، الأتراك الشبان طالبوا مؤتمر الطاشناق بتنفيذ اتفاقهم القديم المبرم عام ١٩٠٧، والبدء في انتفاضة بين أرمن القوقاز ضد الحكومة الروسية. ورفض حزب الطاشناق القيام بذلك، وقدم تأكيدات بأنه: « في حالة الحرب بين روسيا وتركيا، فإنه سيدعم تركيا كرعايا مخلصين لها، لكنه من ناحية أخرى، لن يكون مسئولاً عن الأرمن الروس ».

كان الأتراك غير راضين تماما بتلك الإجابة؛ وشكوا في ازدواجية الحزب. وربما لم يكن ذلك صحيحًا، لأن الإجابة المقدمة إلى الأتراك كانت تستند إلى القرار الذي اعتمدته الاتفاقية. ومع ذلك تظل الحقيقة أن قادة القسم التركي الأرمني في حزب الطاشناق لم يفوا بوعدهم بالولاء للقضية التركية عندما دخل الأتراك الحرب.

وكـان للاتحـاد الثوري الأرمني اليـد العليـا في القوقـاز، لكنهم جنحوا في تصـرفاتهم إلى مصـالح الحكومة الروسـية، وتجاهلوا تمامًا الأخطار السـياسـية التي خلقتها الحرب للأرمن في تركيا. ضـاع الحذر والحكمة أدراج الرياح. وتم نســيان قرار مؤتمر أرضـــروم الخاص بالأرمن الأتراك؛ وأرســلت الدعوات للمتطوعين الأرمن لمحاربة الأتراك على جبهة القوقاز.

توافـد الآلاف من الأرمن من جميع أنحــاء العــالم[١]، متمثلين ومقتـدين بـالمقـاتلين المشـــهورين أمثال أندرانيك وغيره (من أبطال الأرمن). وقدم نظام المتطوعين الأرمن خدمات قيّمة للجيش الروســي في الأعوام ١٩١٤-١٥-١٦. ومع ذلـك، فـإن أعمـالهم البطوليـة والدماء التي أراقوها في غزو أرمينيا التركية إلى جانب روسيا، لم تساعد القضية الأرمنية. وأعلن قادة الطاشناق أن الحكومة الروسـية وعدت بالحرية لأرمينيا. ولم يكن هناك أي أســاس لهذا الوعد، وســاد الخداع في النهايـة. لكن الآلاف من الأرمن كـانوا قد اســتجـابوا بالفعل للدعوة الكـاذبـة، وبـالمناســـبة فقد جرى ضـــخ الملايين في خزائن «المكتب الوطنـي» للطاشناق.

من ناحية أخرى، كانت الأسـاليب المسـتخدمة من قبل حزب الطاشـناق في تجنيد هذه الأفواج صــريحة وسـافرة للغاية بحيث لم تسـتطع الإفلات من أعين الســلطـات التركيـة، والـذين كـانوا يبحثون عن ذريعـة لتنفيـذ برنـامجهم لإبـادة السكان المسيحيين؛ الذي كانوا قد اعتمدوه في وقت مبكر من عام ١٩١١.

---

(١) نوبار باشا شارك في إرسال الأرمن المصريين للحرب ضد تركيا وفي صفوف الحلفاء.

يعتقد الكثير من الأرمن، أن مصـــير مليونين من رفاقهم في تركيا ربما لم يكن ليصـــبح كارثيا إلى هذه الدرجة؛ لو كان زعماء الطاشـــناق قد اســتخدموا المزيد من الحيطة والحذر أثناء الحرب. في إحدى الحالات فر أحد زعماء الطاشناق وهو «أرمن جارو»، الذي كان أيضًا عضوًا في البرلمان التركي، إلى القوقاز وشارك بنشاط في تنظيم أفواج المتطوعين لمحاربة الأتراك ونشرت صورته بالزي العسكري على نطاق واسع في صحف الطاشناق، واستخدمها طلعت باشا[١] قاتل الأرمن كذريعة لسياسته في الإبادة[٢].

وتظل الحقيقة أن الممثلين الحقيقيين للأرمن في تركيا، والبطريركية ومؤســســاتها، لم يســتشــرهم قادة القوقاز في حزب الطاشــناق أبدًا في تبني ســياســاتهم فيما يتعلق بالشــعب الأرمني؛ برغم أن العواقب الوخيمة لهذه السياسات كان أرمن تركيا هم الذين عانوا ويلاتها.

* * *

(١) شريك الأرمن في الانقلاب والقضاء على الدولة العثمانية قبل الحرب بسنوات. [المترجم]

(٢) عندما بدأت عمليات ترحيل ونفي الزعماء الأرمن في صيف عام ١٩١٥. ذهبت سيدة أرمنية هي زوجة نائب أرمني آخر في البرلمان العثماني، لتقديم التماس إلى طلعت باشا، لتسأله إعادة زوجها من المنفى والموت المحتمل. خلال المقابلة قدم لها طلعت باشا نسخة من صحيفة الطاشناق المسماة «الأفق» (Horizon) والتي نشرت فيها صورة أرمن غارو في زي متطوع، وأشار إلى الصورة قائلا «سيدتي، انظري إلى نائب برلماننا أرمن غارو، والذي كان بالمناسبة أحد «أبطال» حادثة البنك العثماني لعام ١٨٩٦.

الثورة الروسية والجهود الأرمنية في الدفاع

لم يسلم الروس المقاطعات التي فتحوها في أرمينيا إلى الأرمن؛ وبعد الثورة الروسية تخلى جيشهم عن الجبهة كلها وتركها دون دفاع أمام الأتراك.

وحاولت العناصر القومية للطاشناق في القوقاز، جنبا إلى جنب مع المجلس الوطني للأرمن الأتراك الذين هربوا عبر الحدود الروسية، تشكيل فيلق عسكري تحت زعامة الجنرال أندرانيك والقيادة العليا للجنرال نزاربيكوف، وهو من المحاربين الأرمن القدامى في الجيش الروسي.

وعارض الفرع البلشفي من الطاشناق الذي يتزعمه قادة مثل شاماليان[١] وفراتزيان[٢] - واللذين كانا حتى هذا التاريخ عضوين في الهيئة السرية للطاشناق في باريس - إدخال عقوبة الإعدام كتدبير تأديبي في هذا الجيش الجديد[٣].

---

(١) هو أرشانج شاماليان (Arshag Chamalian) أحد قادة حزب الطاشناق في ذلك الوقت وعضو الهيئة السرية للحزب. [المترجم]

(٢) سايمون فراتسيان كان من القادة النشطاء في حزب الطاشناق ومن الذين تحالفوا مع تركيا الفتاة قبل أن يفر إلى القوقاز ويقاتل مع الجيش الروسي، كان شيوعيا راديكاليا حتى أن البريطانيين رفضوا إعطاؤه تأشيرة دخول إلى بريطانيا عام ١٩١٩ مشاركا في وفد رسمي أرمني مع هوفانيس كاتشزنوني. تقلد عدة مناصب وزارية في الحكومات الطاشناقية، و قام بتحرير العديد من الدوريات والصحف الأرمنية التي انتهت الآن، بما في ذلك Harach و Horizon. [المترجم]

(٣) عدم وجود عقوبة الإعدام يجعل عصيان الأوامر والهرب من المعركة سهلا على من أراد ذلك في وقت الحرب، وهو من الأمور المدمرة لوحدة وقدرة أي جيش. [المترجم]

فقد أرادوا أن يعمل الجيش بنظام المجالس الفوجية أو «الانضباط البروليتاري»[1] الماركسي، وهو ما ضيع الكثير من الوقت الثمين بهذه الطريقة.

من ناحية أخرى، بذل بعض قادة الطاشناق كل ما في وسعهم لإحباط جهود أندرانيك في أرضروم لتنظيم دفاع ضد جيش وهيب باشا[2]، وعارض أندرانيك الأساليب والسياسات الفاسدة لحزب الطاشناق، لذلك كان لابد من معاقبته بطريقة ما. لكن هذه العقوبة كلفت الأرمن خسارة معاقل إرضروم وقارص وألكساندروبول[3]، وحياة الكثيرين.

* * *

(١) الانضباط البروليتاري هو نظرية لينينية بمعنى التجسيد المادي لوحدة الإرادة الجماعية الحرة و لوحدة الحركة و الفعل، وباختصار هي نوع من التحكم الحديدي الذي يُمكن القادة السياسيين من التدخل في كل قرارات وشئون الجيش تحت مسمى تنفيذ إرادة الوحدات البروليتارية. [المترجم]

(٢) وهيب باشا والمعروف أيضا بـمحمد وهيب باشا، (١٨٧٧ - ١٩٤٠)، كان فريق أول في الجيش العثماني. قاتل في حروب البلقان وفي العديد من مسارح الحرب العالمية الأولى. [المترجم]

(٣) هي مدينة غيومري الحالية وتقع في أقصى الشمال الغربي لجمهورية أرمينيا وعلى بعد ١٢٠كم عن العاصمة يريفان. [المترجم]

الجمهورية

وعبر الألاعيب الدبلوماســية التركية والألمانية، أجبر الأرمن على إعلان استقلال أرمينيا الروسية، وهو ما اعترف به الأتراك في يونيو ١٩١٨، بموجب معاهدة باطوم. الهزائم التركية في معركة كاراكيليسا[١] (قاره كيليسا) و ساردا آباد، والمقاومة الشــديدة للأرمن؛ كانت كلها عوامل مهمة في هذا الاعتراف، ولكن السبب الرئيسي هو أن الأتراك أرادوا فصل أرمينيا عن روسيا، والتعامل معها على هواهم في وقت يكون أكثر ملاءمة لهم. وثانيًا؛ لم يرغبوا في وجود جيش عدو في ظهرهم خلال تقدمهم نحو باكو وحقول النفط الغنية.

ووجد حزب الطاشــناق نفســه ممتطيا صــهوة الفرس. وتم تشــكيل وزارة وبرلمان، حيث كان للطاشناق الأغلبية الساحقة.

مع ذلك ورغم أنهم اعتادوا منذ فترة طويلة على الأســاليب المخيفة والعنيفة كحزب ثوري، فإنهم فشــلوا في إظهار أي قدرة على الحكم أو امتلاك الحنكة السياسية.

---

(١) معروفة الآن باسم وانادزور وتقع في أرمينيا بمحافظة لوري.

كانت الوزارة والبرلمان غالبا ما يسيطر عليهم الهيئة السرية القوية لحزب الطاشناق، بينما هيئات إنفاذ القانون والنظام فغالبا ما كان القتلة المأجورون من الطاشناق (الموزيريست Mauserists)[١] ينتهكونها. هذه الفئة من القتلة التي كانت مدللة من الجماعة بسبب أهدافها الإرهابية السرية، والتي لا يمكن السيطرة عليها الآن، استبدوا بالناس وتحدوا الحكومة.

وفي معرض حديثه عن سياسات الحكومة الأرمنية، يعلن تقرير لجنة الجنرال هاربورد[٢] ما يلي: «هذه السياسة تتأثر مع الأسف بأساليب حزب الطاشناق، والتي هي دائمًا عرضة لمشكلات التهور».

كاتشازنوني، رئيس وزراء جمهورية أرمينيا السابق، انتقد أساليب حزبه بالكلمات التالية: «أرمينيا كانت جمهورية ديمقراطية.... كان هذا هو الشكل المفترض. لكن الواقع كان خلاف ذلك. ففي الممارسة العملية، سعى حزبنا للسيطرة على كل من الهيئة التشريعية والحكومة. وتم خلق ازدواجية لا تطاق في السلطة؛ فعلى السطح كان هناك البرلمان والحكومة، بينما في السر كانت الإدارة للحزب وهيئاته.

---

(١) كانوا يشتقون اسمهم من مسدس موزر الذي كان يتسلح به عادة أتباع قادة الطاشناق.

(٢) لجنة عسكرية برئاسة الميجور جنرال جيمس هاربورد شكلها رئيس الولايات المتحدة أرسلت إلى أرمينيا والأناضول والقوقاز الروسية وسوريا للتحقيق في الأوضاع السياسية والعسكرية ومدى علاقتها بالمصالح الأمريكية المحتملة في المنطقة. [المترجم] نقلا عن تقرير اللجنة.

«هذه الحالة جعلت من الصـــعب للغاية العمل على تشـــكيل ائتلاف جاد ومخلص. في الواقع أجبرت العناصـر الخارجية التي دخلت التحالف على اتباع سـياسـة لا تخصـهم في شـيء، حيث جرى تطويرها والتخطيط لها بعيدا عن الحكومة وبواسـطة لجان الحزب، والتي بالطبع لن تتمكن عناصـر الائتلاف الخارجية من الوصول إليها والمشاركة فيها.

«في أرمينيا لم يكن هناك برلمان؛ لقد كان شكلاً فارغًا دون محتوى».

«مناقشـة مشـاكل الدولة وحلها تمت خلف أبواب مغلقة، في غرف تابعة لفصيل الطاشناق في البرلمان ثم تم الإعلان عنها من على منصة البرلمان. في الواقع، لم يكن هناك حتى ما يمكن تسميته بفصيل برلماني، لأن هذا الأخير كان تحت إشراف صارم للغاية من هيئة الطاشناق وكان مضطرا لتنفيذ أوامرها. لم تكن هناك حكومة كذلك، فهذه أيضـا كانت تحكمها تلك الهيئة السـرية، وكانت إلى حد ما جهازا تنفيذيا تابعا للهيئة داخل كيان الدولة. كان ذلك هو النظام البلشفي بعينه؛ لكن ما يفعله البلاشفة بصراحة وثبات؛ كنا نحاول نحن ستره وإخفاؤه تحت أشكال ديمقراطية[١]."

ولم تبتعد المشكلات الداخلية والخارجية عن ذلك كثيرا.

(١) Dashnagtzoutune Has Nothing More to Do", by H. Kachaznouni, pages ٣١-٣٢ and ٣٨, Vienna, ١٩٢٣.

داخليا:

أولا: فشلت حكومة الطاشناق أولاً في إرساء السلام وصنع الحد الأدنى من القانون والنظام داخل البلاد. كان النهب والقمع متكرر، وفي العديد من الحالات تسببت الأعمال التعسفية التي ارتكبها أتباع زعماء الطاشناق في إثارة القلاقل.

ثانيًا: جنحت التشريعات الاشتراكية، التي أقرها البرلمان، إلى تأخير إعادة البناء الاقتصادي للبلد عن طريق خلق بيروقراطية كبيرة ودعمها على حساب الفلاحين. فعلى سبيل المثال تم إعلان احتكار المحاصيل الزراعية لصالح الحكومة وشرائها بالقوة من الفلاحين بأسعار رمزية وبيعها في الخارج من قبل وكلاء حكوميين، والذين أيضا يحصلون على العمولات. وهكذا استحوذت وزارة الزراعة على محصول القطن، وباعه في «باتوم» عام ١٩١٩ ساركيس عرديان وزير المالية آنذاك، والذي حصل في نفس الوقت على عمولته في البيع! .

يقول ألكسندر خاتيسيان[1] رئيس وزراء أرمينيا ١٩١٩-١٩٢٠: «من بين المشروعات الإدارية والتشريعية التي حدثت يمكن أن نشير إلى إعلان القوانين الزراعية؛ والذي تم من خلاله تأميم الأراضي في أرمينيا ومنحها للعمال»[2].

وفي بيان بتاريخ ٢٩ مايو ١٩١٩ أعلنت هيئة الطاشـــناق، التي كانت هي الحكومة الحقيقية، أن حزب الطاشـناق بعد أن أدرك ووعي مُثله السياسـية، فإن إقامـة جمهوريـة ديمقراطيـة، ووفقًا للعقيدة الجوهرية (الاشـــتراكية) ســـيوجه سـفينتنا باسـتمرار وبتصـميم عبر قناة الإصـلاحات الاجتماعية. إلى جنة العدالة الاجتمـاعيـة وتجـاه اتحـاد العمال العاملين في جميع الأمم. وحيث ســـيجد عمال أرمينيـا، دون تمييز بســـبب العرق أو العقيدة، إدراكًا لمُثُل الإنســـانية جمعاء. «وبنـاءً على ذلك، تمت دعوة الشـعب من قِبل صـحافة الطاشـنـاق إلى الانتفاض والاستيلاء بالقوة على الأراضي المملوكة ملكية فردية، والممتلكات والأراضي التابعة للكنائس[3].

---

(١) ســياســي وصــحفي أرميني ولد في تبليســي عام ١٨٧٤ وتوفي في باريس ١٩٤٥، بعد إعلان جمهورية أرمينيا الأولى شـغل منصـب وزير الخارجية ووقع معاهدة باتوم مع الإمبراطورية العثمانية، وانتخب رئيسا للوزراء من ١٩١٩ إلى ١٩٢٠. [المترجم]

(٢) The Origin and Development of the Armenian Republic", by A. Khatisian, page ١١٥, Athens, ١٩٣٠.

(٣) اجراءات تأميم ومصادرة. [المترجم]

ثالثًا: فشلت الحكومة في كسب التعاون مع الأحزاب السياسية الأخرى.

رابعًا: لم يستطع الحزب الحفاظ على كرامة الحكومة ضد الممثلين الأجانب. فكان مجرد جنرال بريطاني في «يريفان» يُملي على رئيس الوزراء بطريقة غاية في الإهانة.

خامسًا: فشل في تنظيم دفاعات الدولة بشكل صحيح، لأن الضباط الذين تم الاستغناء عنهم كانوا ضباطًا مدربين ومحترفين في هيئة الأركان العامة بينما من حل محلهم من ضباط الطاشناق كانوا يعرفون القليل عن العلوم العسكرية أو يفتقرون لتلك المعرفة تماما.

خارجيًا:

أولا: شنت حكومة الطاشناق ثلاث حروب خلال عامين ونصف. الحرب على جورجيا، في ديسمبر ١٩١٨، واستمرت ثلاثة أسابيع فقط ولكنها تسببت في كارثة لا توصف لأرمينيا. وانتهت الحرب مع أذربيجان حول إقليم كاراباخ بشكل كارثي بالنسبة للأرمن. وأخيرًا جاءت الحرب مع تركيا في خريف عام ١٩٢٠، والتي كادت أن تُنهي حياة الجمهورية وهددت البقية الأرمنية الباقية بالإبادة. اثنان على الأقل من هذه الحروب كان يمكن تجنبهما.

الحرب مع جورجيا التي دارت حول مسألة مقاطعة لوري اندلعت من قبل بعض زعماء حزب الطاشناق المتحيزين، والذين لم يكن للحكومة سيطرة عليهم، وأيضا بسبب الأعمال الاستفزازية التي ارتكبها الضباط الروس في الجيش الأرمني.

يقول «هوفانيس كاتشازنوني: من المحتمل جدًا أن هؤلاء (يعنى الضباط الروس) كانوا يحرضون دوائرنا العسكرية ضد جورجيا ويخلقون أجواء عدائية والتي كانت مواتية للغاية لبدء العمليات العسكرية.

«ولم يكد يمر علينا سوى أربعة أو خمسة أشهر كدولة إلا وقد اشتبكنا بسرعة في الحرب؛ رغم أن البلاد لديها الآلاف من العلل والمشكلات التي تحتاج إلى عناية. شننا حربًا على أحد الجيران ممن كنا في أمس الحاجة إلى تحالف وثيق معهم، ألم تكن جورجيا هي السبيل الوحيد للبقاء على اتصال بالعالم المتحضر؟.. بصرف النظر عن موقف جورجيا، والذي لاشك في إدانته، كان عجزنا هو صاحب الدور الأكبر، كذلك نقص خبرتنا في الحياة السياسية وعدم استعدادنا لتسيير حياة دولة[١].»

كانت الحرب مع تركيا نتيجة غير مباشرة لقانون ٢٨ مايو ١٩١٩، الذي ادعت بموجبه حكومة جمهورية أرمينيا امتلاكها لمقاطعات أرمينيا الغربية أو التركية. ولو تذكرنا فإن الجمهورية الحالية كانت معترف بها من قبل الأتراك بموجب معاهدة باطوم، والتي كان المبعوثون الروس والأرمن قد تخلوا فيها عن جميع المطالبات الإقليمية المتعلقة بأرمينيا الغربية، فيمكننا أن نفهم بسهولة لماذا اعتبر الأتراك قانون ٢٨ مايو ١٩١٩، بمثابة استفزاز للحرب، وهاجموا جمهورية أرمينيا بمجرد أن أصبحوا جاهزين لذلك.

---

(١) Dashnagtzoutune Has Nothing More to Do”, by H. Kachaznouni, pages ٣٤, ٣٥.

من ناحية أخرى، بالغت الحكومة الأرمنية في تقدير قوتها وخلقت سببا فوريا للصراع عبر احتلال منطقة أولتي[١].

وسوف نقتبس مرة أخرى من كاتشازنوني، رئيس وزراء أرمينيا سابقا، لإظهار أن حكومة الطاشناق فشلت في اتخاذ تدابير لتجنب هذه الحرب الكارثية: يقول كاتشازنوني «إنها حقيقة صارخة، حقيقة لا يمكن دحضها، وهي أننا لم نفعل كل ما كان ينبغي علينا فعله – أو كان من واجبنا القيام به - من أجل تجنب الحرب».

«ونحن لم نفعل كل شيء لسبب بسيط ولكن لا يغتفر، وهو أننا كنا نجهل القوة الحقيقية للأتراك وكنا متأكدون من قوتنا.

وهنا يكمن الخطأ الجوهري؛ لم نكن خائفين من الحرب لأننا كنا متأكدين من الانتصار. ومع عدم الاكتراث الذي أبداه الرجال الجهلاء عديمي الخبرة، لم ندرك القوة التي نظمها الأتراك على حدودنا وبالتالي لم نكن حذرين. على العكس من ذلك كان احتلال أولتي المتسرع هو القفاز الذي ألقينا به[٢]، كما لو كان عن قصد، للأتراك؛ وكما لو كنا نحن أنفسنا نشتهي الحرب وسعينا خلفها[٣].»

---

(١) منطقة تابعة لأرضروم في الأناضول الشرقة في تركيا.

(٢) إلقاء القفاز يعني التقليد الأوروبي القديم الذي كان يمارسه الرجال عند تحديهم لغريم وطلب مبارزته، فيلقي أحدهم قفازه في وجه الغريم ويكون ذلك بمثابة إعلان للحرب. [المترجم]

(٣) Dashnagtzoutune Has Nothing More to Do”, by Kachaznouni, page ٤١.

ثانيا: موقف الحكومة الأرمينية المتعجرف تجاه روســيا الســوفيتية خلال العام الحرج ١٩٢٠، حرم الجمهوريـة الصـــغيرة والضـــعيفة من حليف قوي ومحايد.

* * *

القضية الأرمنية تتلقى ضربة قاضية

ما اشتهر باسم «القضية الأرمنية» كان محوره مسألة الإصلاحات في المقاطعات الأرمنية في تركيا؛ بمعنى آخر كان مطلبٌ الأرمن الغربيين هو الحماية من الاضطهاد ومنحهم قدرًا من الاستقلال الذاتي المحدود. وتم الاعتراف دوليا بهذا المطلب الأرمني بموجب المادة الحادية والستين من معاهدة برلين، التي وقعت عليها القوى العظمى وتركيا في عام ١٨٧٨، بعد الحرب الروسية التركية[١]. على الصعيد الدولي، كانت القضية الأرمنية تعني قضية تحرير أرمن تركيا. لكن وخلال الحرب العالمية، كان يتم تمثيل القضية الأرمنية أمام القوى المتحالفة عبر وفد وطني يمثل الأرمن الغربيين فقط؛ والذين تحدثوا عن قضيتهم فقط أيضا.

---

(١) انظر الملحق الثالث.

هذا الوفد، برئاسة بوغوص نوبار باشا[1]، اعترف الحلفاء به وأبرم اتفاقات رسمية بموجبها كان للأرمن أن يتمتعوا بالحكم الذاتي في قلقيلية[2]، تحت حماية فرنسا. **وبموجب هذه الاتفاقات قاتلت الأفواج الأرمنية من أجل فرنسا في الحملة السورية خلال عامي ١٩١٧ و ١٩١٨**. وأثارت الهزيمة الأخيرة للأتراك في تلك الحملة آمال الأرمن في وجود حر ومستقل في الجزء الأكبر من أرمينيا الغربية، التي تم التخلي عنها الآن من قبل الجيش الروسي.

لكن ظهور ممثلي الجمهورية الأرمنية المشكلة حديثًا في منطقة القوقاز، على الساحة الدبلوماسية، أدى إلى تعقيد الأمور على الفور.

فبدلاً من التعاون مع الوفد الوطني في العمل من أجل تحقيق حرية أرمينيا الغربية بدأ وفد الطاشناق بقيادة أفتيز أهارونيان[3] (Avetis Aharonian) على الفور في وضع الخطط لإزالة الوفد الوطني. لم يستطع حزب الطاشناق التسامح مع أو قبول غلبة أي سلطة أخرى غيره في الحياة الأرمنية.

---

(١) بوغوص نوبار باشا (أغسطس ١٨٥١ – ٢٥ يونيو ١٩٣٠) هو رجل أعمال وسياسي أرميني مصري ورئيس الجمعية الوطنية الأرمينية، ابن رئيس الوزراء المصري نوبار باشا. [المترجم]

(٢) قِلِيقِيّة هي منطقة جغرافية تاريخية تقع جنوب الأناضول على السواحل الجنوبية الشرقية من تركيا. [المترجم]

(٣) أفتيز أهارونيان سياسي وكاتب وشخصية عامة وثورية أرمنية، ولد في محافظة يريفان ٢٠ مارس ١٨٦٦. [المترجم]

هؤلاء الذين ضحوا مرارًا وتكرارًا بالمصالح الأرمنية وعرّضوا وجود وبقاء الأرمن الغربيين، لمجرد اتباع سياسات وآراء قادتهم من القوقاز، لم يكن ليوقفهم شيء الآن عن تشويه سمعة الوفد الوطني الذي يتمتع بثقة جميع الأرمن الغربيين، وأن يمتلكوا في أيديهم زمام توجيه القضية الأرمنية قبل مؤتمر السلام.

تبعا لذلك، في ٢٨ مايو ١٩١٩، خرجت حكومة يريفان[١] ببيان أعلنت بموجبه أن المقاطعات الأرمنية في تركيا - التي طلبها الأرمن الغربيون من الحلفاء – هي متحدة مع الجمهورية الأرمنية الحالية.

هذا الإعلان هو ما يُعرف باسم قانون ٢٨ مايو، وكان في الواقع اغتصاب للسلطة من قبل الحكومة التي تدين بوجودها إلى وقوع الثورة الروسية، هذه الحكومة التي لا تمثل الأرمن الأتراك، والتي لم يفوضها حتى برلمانها الخاص لتقوم بهذا العمل الكارثي. كل شيء جرى تخطيطه في باريس، وتآمروا عليه في هيئة الطاشناق في يريفان، ثم تم فرضه على الجمهور.

كانت النتيجة المباشرة لهذا العمل هي اندلاع صراع داخلي بين الأرمن، مما جعل من المستحيل على الفصائل السياسية أن تقدم للحلفاء جبهة موحدة في مؤتمر السلام. هذه الجبهة الموحدة كانت موجودة بالفعل قبل أن يقضي عليها إعلان ٢٨ مايو. وانسحب الاشتراكيون الديمقراطيون وحزب الشعب من الحكومة وبرلمان الجمهورية احتجاجًا

---

(١) يريفان هي عاصمة أرمينيا وأكبر مدنها. تقع على ضفاف نهر هرازدن أكبر أنهار أرمينيا.

على أن الحكومة ليس لديها السلطة لتقوم بمثل هذا الفعل غير المشروع. وذلك أضعف الحكومة حتى على صعيد الجبهة الداخلية الخاصة بها.

ووفقًا لكاتشازنوني، فإن قانون ٢٨ مايو كان يهدف إلى إنهاء وجود الوفد الوطني، لكن هذا لم يتحقق. بينما من ناحية أخرى فإن تعصب القادة في يريفان جعل من المستحيل تشكيل حكومة ائتلافية، مشكلة من أرمن الشرق والغرب.

على الصعيد الدبلوماسي، خلق قانون ٢٨ مايو ارتباكًا بين ممثلينا وفي أذهان القوى المتحالفة معها. كانت المسألة الأرمينية في البداية هي مشكلة تحرير أرمينيا التركية، التي وعد الحلفاء بها والتي خُلقت من أجلها جهود الأرمن الغربيين أساسا. الآن أصبحت المسألة الأرمنية شيئًا آخر.

ووفقًا لذلك رأت القوى المتحالفة في هذا القانون الصـــادر في ٢٨ مايو، طريقة ســـهلة للخروج من مشـــكلة صـــعبة. وبدلاً من تحرير أرمينيا الغربية وتشـكيلها كدولة منفصـلة، قرروا إضـافة بعض مقاطعات أرمينيا التركية إلى الجمهورية الأرمنية الحالية. وقد تم ذلك في معاهدة سيفر[١]. ومع ذلك تم تعليق القرار على شرط هزلي وهو أن الحل النهائي للمشكلة برمتها يعتمد على مسار الثورة الروسية.

وهكذا قُتِل مسعى حرية غرب أرمينيا على يد تعصب ومكائد الطاشناق.

فمعاهدة ســـيفر[٢] التي اعترفت بأرمينيا في ذلك الوقت، حرمت أرمينيا الغربية من حريتها. وكانت على يد ممثلي الجمهورية في يريفان في ١٠ أغســطس ١٩٢٠. ثم كان نفس الرجال هم من تنصـــلوا من معاهدة ســـيفر ومطالبات الأرمن في تركيا، بالتوقيع على معاهدة الكسندروبول في ٢ ديسمبر ١٩٢٠.

* * *

(١) انظر الملحق الرابع.

(٢) بعد الحرب العالمية الأولى أبرمت بين قوى الحلفاء المنتصـرة وممثلي حكومة تركيا العثمانية معاهدة ألغت الإمبراطورية العثمانية واجبرت تركيا على التخلي عن جميع الحقوق على آسـيا العربية وشـمال إفريقيا. كما نص الاتفاق على أرمينيا المستقلة، وكردستان المتمتعة بالحكم الذاتي، والوجود اليوناني في شـرق تراقيا وعلى السـاحل الغربي للأناضول، وكذلك السيطرة اليونانية على جزر بحر إيجة التي تسيطر على الدردنيل. [المترجم]

كارثة

يعد قانون ٢٨ مايو ١٩١٩، الذي طالب بضـــم أرمينيا التركية إلى الجمهورية الأرمنية المشـكلة حديثًا، والتي كان الأتراك قد اعترفوا بها بموجب معاهدة باطوم (٤ يونيو ١٩١٨)، هو الذي مهد لهجوم مصـطفى كمال أتاتورك على أرمينيا. فبمجرد توقيع معاهدة ســـيفر في باريس، بدأ الأتراك هجومهم. وكان الأرمن في القوقاز دون حلفاء؛ والحلفاء الأوروبيون كانوا أبعد من أن يستطيعوا منحهم المساعدة. في حين لم يكن البلد (أرمينيا) موحدٌ داخليًا، وكانت معنويات الجيش متدهورة بسبب الأساليب العسكرية السيئة للطاشناق.

فشلت القوات الأرمنية في اتخاذ موقف فعال أمام القوات التركية المتمرسة على القتال. واســتســلمت القلعة الرئيســية في قارص[١]، وتقدم الأتراك حتى ألكساندروبول حيث وقعت حكومة الطاشـناق ويمثلها وفد برئاسـة خاتيسـيان[٢] في ٢ ديسمبر ١٩٢٠، على المعاهدة التي أنهت فعليا استقلال أرمينيا، ووضعت مصـــير البقية الأرمنية الباقية في أيدي باشـــوات تركيا.[٣] لكن تدخل روســـيا السوفيتية في الوقت المناسب أنقذ الأرمن.

---

(١) مدينة قارص هي عاصمة محافظة قارص تقع في منطقة شرق الأناضول من تركيا. [المترجم]

(٢) ألكسندر خاتيسيان، تمت الإشارة إليه سابقاً.

(٣) ترد معاهدة ألكساندروبول في نهاية الكتاب في الملحق الرابع.

وحول هذا التدخل البلشفي يقول كاتشازنوني - :

- «دخل البلاشـــفـة أرمينيـا دون مواجهة أي مقاومة. كان هذا قرار حزبنا (حزب الطاشناق)...
- «كان هناك ســببان للتصـــرف بهذه الطريقة أولاً: لم نتمكن من مقاومته حتى لو أردنا ذلك. ثانيًا: كنا نـأمل أن تكون الســلطـات الســوفيتيـة المدعومة من روســيا، قادرة على إدخال بعض النظام في الدولة؛ وهو الشيء الذي فشلنا جميعا في القيام به كل بمفرده، وكان واضحا جدا أننا لن نكون قادرين على فعله».

وأزيح حزب الطاشـناق من السـلطة في جمهورية أرمينيا السـوفيتية حديثة التشكيل.

* * *

ما بعد الكارثة

غير أن قادة الطاشناق لم يتمكنوا من التصالح مع فكرة الخروج من السلطة. خاصـــة أنهم حُرموا من ســبل العيش المضــمونة التي كانت متوفرة لهم، كما أصبحوا غير موثوق بهم تماما أمام الشعب الأرمني. وسُمح لبعض قادة الحزب من البلاشــفة الأرمن بالبقاء في أرمينيا وبســبب ميولهم البلشــفية فقط، مثل ســايمون فراتســيان، الرئيس الحالي للهيئة الســرية في أوروبا ومحرر ســابق لصحيفة «هيرنيك» في بوسطن (بالولايات المتحدة).

كان قد انقضــى شــهرين ونصـف منذ سـقوط حكومة الطاشـناق، عندما اندلع تمرد خطير تحت قيادة فراتزيان في أرمينيا ضــد الحكومة البلشــفية في الثامن من فبراير عام ١٩٢١. وتم طرد القوات البلشفية مؤقتًا من أرمينيا، لكن حكومة فراتزيان لم تكن متأكدًة من قدرتها على الصمود أمام السوفييت.

وطلبوا المسـاعدة العسكرية من الأتراك من خلال التذرع بالمعاهدة الشائنة الموقعـة في ألكســاندروبول، والتي تنص المادة ٧ منها على أنه «متى رغبت الحكومـة الأرمنيـة في ذلـك، تتعهـد الجمعيـة الوطنيـة التركيـة الكبرى بتقـديم مساعدة مسلحة لأرمينيا، ضد الأخطار الداخلية والخارجية».

كانت عودة الجيش التركي إلى أرمينيا تعني تدميرًا وكارثة إضـافيين لهذه الأرض التي استبيحت كثيرا. ومع ذلك، يبدو أن قادة الطاشناق يفضلون حماية تركيا على ما تبقى من جمهورية أرمينيا بدلاً من روسيا. في ١٨ مارس ١٩٢١، أرسل السيد فراتزيان إلى أنقرة نداءً رسميًا أعربت فيه أرمينيا عن أملها في أن تتلقى مساعدة من جيرانها أثناء هذا القتال الذي تخوضه؛ وأنه في المقام الأول تتطلب مصالح الشعب التركي أيضًا أن تخرج أرمينيا منتصرة من هذه المعركة وأن تظل مستقلة. «ثم طلب من الحكومة التركية أن تُطلع الحكومة الأرمينية على ما إذا كان من الممكن إرسال مساعدة عسكرية لأرمينيا، وإذا كانت الإجابة بنعم فإلى أي مدى ستكون المساعدة ومتى ستصل؟

«في هذه الاستغاثة، اعتمدت الحكومة الأرمينية على العلاقات الودية التي قامت بموجب معاهدة ألكساندروبول، والتي كانت أسقطت أثناء حكم البلاشفة (من الحزب ومن السوفييت).[١]»

---

(١) يرد النص الكامل لهذا النداء المقدم من فراتسيان في الملحق الخامس. [المؤلف].

ولحســن حظ بقية الأرمن، فإن رهبة الأتراك من القوة الصــاعدة للاتحاد السوفياتي أبقت الجيش التركي بعيدا عن أرمينيا.[1]

كان هناك الكثير من سفك الدماء، حتى تلقى الطاشناق الهزيمة مرة أخرى على يد البلاشفة السوفييت وتم طردهم من البلاد. واستمرت هذه الحرب الأهلية ما يقرب من ثلاثة أشهر، وكلفت أرمينيا أرواح عشرات الآلاف.

* * *

(١) كان هذا النداء الذي وجهته فراتسيان كرئيس للحكومة الأرمنية المشكلة حديثًا، بمثابة تصديق على معاهدة ألكساندروبول، التي أعلن فيها قادة الطاشناق للعالم أجمع أن أرمينيا قد تخلت عن جميع مطالبها من تركيا ولم يعد لها أي سبب آخر للخلاف. واستخدم الأتراك المعاهدة المذكورة أعلاه وهذا النداء الأخير من فراتزيان كأسلحة قوية في مؤتمر القوى الكبرى في لندن عام ١٩٢١، ومرة أخرى في مؤتمر لوزان عام ١٩٢٣، ضد مطالب الأرمن للحصول على وطن قومي حر على أرض أرمينيا التركية. وزعموا أنهم قاموا بتسوية جميع النزاعات مع أرمينيا، بموجب معاهدة ألكساندروبول ولم تعد المسألة الأرمنية بالنسبة إليهم موجودة. وهكذا تم دفن قضية الأرمن. [المؤلف].

أنشطة في المنفى

السـخط تجاه هذه القيادة الكارثية بدأ بين صـفوف كوادر حزب الطاشـناق مباشرة بعد التوقيع على معاهدة ألكساندروبول في ديسمبر ١٩٢٠، لكن بالنسبة لقادة الطاشـناق والوزراء السـابقون فإنهم خرجوا على الناس وأعلنوا قرارهم باتباع سياسـة المعارضـة الموالية للدولة الأرمنية السـوفيتية. مع ذلك فقد كانوا سرا يحيكون المؤامرات ضدها، ثم بمرونة مذهلة في السياسة والضمير؛ مدوا أيديهم بالصداقة لخصومهم السابقين مثل حزب المساواة[١] (Musavat) التتاري الأذربيجاني، والمنشفيك[٢] (Mensheviks) الجورجيون.

وكانت هذه الجماعات السـياسـية قد جرى طردها من بلادها كما حدث مع الطاشناق مع ظهور البلاشفة، وفي ١٩٢٢ احتواها سرا ما أصبح يُعرف الآن بـ«التحالف الجبار» (Promethean alliance) بين الطاشـناق والتتار والجورجيون وممثلي مسلمي داغستان.

(١) حزب المسـاواة (Musavat Party)، تأسـس عام ١٩١١ في باكو على يد الصحفي محمد أمين رسول زاده. [المترجم]

(٢) المِنشِـفيك أو المناشفة (Mensheviks) وتعني «الأقلية» وهم جماعة سياسية تكونت عام ١٩٠٣ بعد انقسـام حزب العمل الاشـتراكي الديموقراطي الروسي إثر خلافات داخلية إلى شقين أكثرية بلشفية بقيادة فلاديمير لينين كانت تسـعى للحل الثوري وإعمال السـلاح لحل المعضلات السياسية وأقلية سـميت لاحقًا المونشـفيك انضوت تحت قيادة يوليوس مارتوف وانتهجت طريق الحل السلمي في حل المشكلات السياسية الرائجة حينها. [المترجم]

كان غرض التحالف هو تنظيم تمرد منسق عبر القوقاز ضد الجمهوريات السوفيتية. لكن المحاولات التي جرت لفعل ذلك تم قمعها بصرامة، بينما ظل الاتفاق السري ساري المفعول.

بعد الفشل في ذلك التحرك، حاول الطاشناق توحيد جميع المنظمات السياسية وغيرها من المنظمات الأرمنية في الخارج على فكرة إنشاء نوع من الحكومات دون إقليم (حكومة في المنفى)، والغرض المزعوم منها هو تنسيق الأنشطة الوطنية والثقافية لجميع المجتمعات الأرمنية في مختلف البلدان. لكن كان الدافع الحقيقي وراء هذه الخطوة هو استخدام الرأي العام الموحد، والموارد المادية لجميع الأرمن في الخارج ضد أرمينيا السوفيتية.

عارض الحزب الليبرالي الديمقراطي الأرمني هذه السياسة بشدة وأحبطها، هذا الحزب وبرغم أنه معادي لمبادئ الاشتراكية أو البلشفية؛ إلا أنه دافع عن قضية أرمينيا السوفيتية باعتبارها الأمل السياسي الوحيد للأمة.

حاول حزب الطاشناق بعد ذلك التعاون مع القادة الأكراد في تمردهم على تركيا. وجعلوا أتباعهم يعتقدون أنه في حالة النجاح سيعترف الأكراد بالحقوق الأرمنية على أراضي أرمينيا التركية. ولم يكن هناك أي أساس لمثل هذا الاعتقاد فقد كان الأكراد يطالبون بنفس الأرض كجزء من مخططهم الوطني.

وغَرَّمَ حزب الطاشناق أتباعه السذج آلافا مؤلفة من الدولارات لدعم القضية الكردية. وهُزِم الأكراد أخيرًا في عام ١٩٢٨ وكانت النتيجة الصافية لهذه الأفعال هي الحصول على بروباجندا مطلوبة للغاية لحزب الطاشناق، وإهدار أموال العمال الأرمن التي اكتسبوها بصعوبة بالغة، ومزيد من الإجراءات القمعية من قبل الحكومة التركية في التعامل مع فلول الأرمن في تركيا.

ومع ذلك سعى قادة الطاشناق إلى مجالات وأنشطة أخرى، واستطاعوا فقط في النهاية تفتيت وحدة بعض المجتمعات الوطنية. هذه المجتمعات كانت قد تشكلت في مختلف الأراضي بواسطة الأرمن القادمين من نفس أماكن العيش في بلدهم القديم. وحاول هؤلاء الأرمن جمع الأموال لإنقاذ رفاقهم اللاجئين وإرسالهم إلى أرمينيا السوفيتية وتوطينهم في مدن تحمل اسم بلداتهم القديمة.

هذه البلدات التي بنيت في أرمينيا بواسطة نفس هذه المجتمعات الوطنية، تنمو وتتطور الآن من خلال التعاون مع الحكومة الأرمنية. لكن بعض هذه المجتمعات الآن على حافة الخراب بسبب معارضة أعضاء الطاشناق الذين يعيشون بينهم.

على كل هذه الجبهات المختلفة، واجه الطاشــناق معارضــة حازمة من الأحزاب السـياسـية الأخرى، ومن المنظمات المكرسـة لإعادة إعمار المجتمع الأرمني ومن الشعب عامة. كان أخطر ما ارتكبه الطاشناق هو حملة المعارضة التي تصل إلى حد العداوة، والتي شنها الحزب ضد أرمينيا السوفيتية. ومع ذلك فشـلت هذه الحملة الدعائية في إضـعاف الحماس الوطني لأرمن الشـتات، ولم تتمكن من إيقاف جهودهم الرامية إلى إعادة اللاجئين المنتشـرين في اليونان وسوريا وفرنسا والبلقان.

* * *

السخط بين الكوادر

ما كان سرًّا سرعان ما ظهر للعلن.

طالب العديد من قادة الطاشـناق، الذين كانوا يؤمنون دائمًا بالاشـتراكية أو البلشـفية، بأن يوقف حزبهم معارضــته لأرمينيا الســوفيتية، وأن يحل نفســه، وينضم إلى الحزب الشيوعي.

وبعد أن رفض قادة الحزب ذلك، قطع هؤلاء صلتهم به واستغلوا علاقاتهم بالحزب الشــيوعي وذهبوا جماعات للانضــمام إلى الشــيوعيين، حيث لم يكن هناك أي فرق أيديولوجي بينهم. ووصـــف قادة الطاشـــناق هؤلاء المنشـــقين بالخونة، واسـتطاع هؤلاء القادة الحفاظ على تماسـك حزب الطاشـناق بفضـل مواردهم المالية.

عملية التفكك هذه تسارعت من خلال كتيب هوفانس كاتشازنوني الشـهير- وهو الذي عاش حياته كلها عضـــوا في حزب الطاشـــناق وكان رئيس وزراء الحكومة الأرمنية في وقت من الأوقات- بعنوان «حزب الطاشـــناق لم يعد لديه ما يقدمه».

(Dashnagtzoutune Has Nothing To Do Anymore.)

وبعد نشر كتيبه الذي حاول أن يثبت فيه أن حزب الطاشناق لم يعد لديه أي أساس لوجوده، ونصحه بحل الحزب ودعم أرمينيا؛ ذهب كاتشازنوني إلى يريفان وقدم خدماته للحكومة الأرمنية. وحذا حذوه كثيرٌ آخرون، والذين أصبحوا بالطبع في نظر القيادة العليا للطاشناق؛ خونة جميعا.

سرعان ما اتضح لكوادر وقواعد الحزب من العناصر الوطنية، أن دولة أرمينيا الحالية كانت هي حقًا بداية لمستقبل سياسي للشعب الأرميني؛ وطالبوا الحزب بوقف العداء لأرمينيا السوفيتية.

وفشلت مؤتمرات الحزب الواحد تلو الآخر في تلبية هذا المطلب، وأخيرًا هجرت مجموعات عديدة الحزب ونظمت نفسها بشكل منفصل أو انضمت إلى الأحزاب الأخرى الصديقة لأرمينيا. أخطر الانقسامات جاءت قبل عامين، عندما خرجت منظمة الطاشناق في فرنسا كلها تقريبا علنا ضد سياسات الهيئة المركزية للحزب.

هذه المجموعات المنشقة كانت في الغالب أرمن غربيون أو أرمن من تركيا، والذين أدركوا أخيرًا الخيانة التي وقعت لقضية أرمينيا الغربية على يد قادتهم المنحدرين من القوقاز، ورأوا السبيل السياسي الأعمى والمظلم الذي يقودهم فيه حاليا هؤلاء الساسة عديمي الضمير.

* * *

أدانوا ما كانوا يتبنونه من قبل

الانتقادات البارزة التي وجهها حزب الطاشناق إلى أرمينيا السوفيتية الحالية هي أنها ليست مستقلة، وأن حكومتها شيوعية وليست حكومة وطنية. هذه الانتقادات ليس لها ما يبررها، فقد حاول الطاشناق أنفسهم - أثناء وجودهم على رأس السلطة - وضع أرمينيا تحت حماية بعض القوى العظمى، مثل الولايات المتحدة، عبر عصبة الأمم. ولو كان هذا الانتداب أو ولاية أي دولة عظمى تحقق، لكان ذلك سيعني تقييد استقلال أرمينيا.

لقد ضمنت أرمينيا الآن وجودها السياسي ليس بقبول ولاية دولة عظمى عليها، ولكن من خلال التعاون معهم باعتبارها واحدة من الجمهوريات الفيدرالية، ضمن الكومنولث الكبير للدول المعروفة باسم الاتحاد السوفياتي. وبالنظر إلى الوضع الجغرافي والسياسي والاقتصادي لأرمينيا السوفيتية، فإن قطع روابطها الفيدرالية عن الاتحاد السوفيتي لا يعني شيئًا سوى الخراب. أما بالنسبة للشكل الشيوعي للحكومة؛ فهو يتماشى تمامًا مع البرنامج الاشتراكي لحزب الطاشناق.

ولو كان الطاشناق وطنيين مخلصين لكانوا دعموا بحماس الاتحاد السياسي الحالي لأرمينيا مع موسكو. من ناحية أخرى لو كانوا أتباعًا صادقين للاشتراكية فلن يعارضوا تطبيق الاشتراكية في أرمينيا الآن. لكنهم لم يكونوا لا وطنيين ولا اشتراكيين، بل إن قادتهم هم مجرد انتهازيين قناصين للفرص، ويقودون أتباعهم إلى طريق مسدود من أجل مصالحهم المادية الأنانية.

ما يدينونه الآن، كان هو برنامجهم ذات مرة. إليكم ما قرأناه في برنامج الطاشناق المنشور في بوسطن في صحيفة هيرنيك عام ١٩١١.

تحت عنوان «المطالب السياسية» نقرأ:

انطلاقا من المبادئ الاشتراكية، وسعيا لتحقيق هدفنا؛ ليس عن طريق الانفصال السياسي، ولكن عن طريق إعادة تنظيم الهيئة السياسية على أسس فيدرالية، ومع الأخذ في الاعتبار الاحتياجات الحقيقية والناضجة للمنطقة التي نعيش فيها، يقترح الحزب المطالب التالية للقوقاز:

١- جمهورية القوقاز الديمقراطية» يجب أن تشكل جزءا لا يتجزأ من الجمهورية الاتحادية الروسية، ومتحدة معها في مسائل الدفاع الذاتي، والنظام النقدي والجمارك والسياسة الخارجية.

٢- في جميع الشؤون الداخلية، تكون جمهورية القوقاز مستقلة ولها برلمانها المركزي المنتخب بالاقتراع العام النسبي المباشر والسري والقائم على المساواة. ولكل قوقازي يزيد عمره عن ٢٠ سنة الحق في التصويت بغض النظر عن الجنس.

٣- ترسل القوقاز ممثليها إلى البرلمان الفيدرالي الروسي، ويتم انتخابهم بالطريقة نفسها.

٤- تنقسم جمهورية القوقاز إلى كانتونات تتمتع بأوسع حكم ذاتي. وتتمتع المجتمعات بالمثل بالحكم الذاتي في الشؤون المجتمعية البحتة.

٥- عند تحديد حدود الكانتونات، فإن الخصائص الجغرافية والثقافية للسكان يجب أخذها في الاعتبار من أجل تشكيل وحدات متجانسة قدر الإمكان.

٦- يتم انتخاب جميع الهيئات التشريعية والقضائية والتنفيذية والمسؤولين من قبل الشعب وفقًا للنظام المذكور أعلاه.

٧- التشريع المباشر وحقوق الاستفتاء والمبادرة .

حتى المقارنة العرضية للمواد المذكورة أعلاه من برنامج الطاشناق مع الواقع الحالي لأرمينيا سوف توضح أن مطالب الاتحاد الثوري الأرمني هذه قد تم الوفاء بها بأكثر من ذلك. ففي حين تم حذف اسم أرمينيا ذاته من المطالب المذكورة أعلاه فإنها تشكل اليوم ليس كانتونا قوقازيا، ولكن واحدة من الجمهوريات الاتحادية القوقازية، ومتحدة مع اتحاد السوفييت المركزي، وتنعم بحرية غرس حياتها الوطنية والثقافية.

* * *

محاولة السيطرة على الكنيسة

بعد أن فشلوا في جميع محاولاتهم السابقة لتنظيم الشتات الأرمني في هيئة موحدة يمكن استخدامها كسلاح ضد الحكومة الأرمينية السوفياتية، قررت القيادة العليا في الطاشناق تجربة استراتيجية أخرى .

لمدة ثلاثين عاما مضت كانوا يدعون الناس ضد الكنيسة والدين. والآن، فجأة، اكتشفوا أنهم يؤمنون بالدين وبالكنيسة الرسولية الأرمنية، وأنها حصن للقومية الأرمنية.

كانت الكنيسة الأرمنية قد اضطهدت من جانب النظام السوفيتي. وجُردت كنيسة إتشميادزين[1] من أراضيها ووسائل دعمها. وقداسة الكاثوليكوس أصبح أسيرا في المقعد القديم للكنيسة الأرمنية

(١) كاتدرائية إتشميادزين هي الكنيسة الأم للكنيسة الأرمنية الرسولية، وتقع في مدينة فاغارشابات (إتشميادزين)، أرمينيا، ووفقًا للعلماء كانت أول كاتدرائية بنيت في أرمينيا القديمة، وتعتبر أقدم كاتدرائية في العالم. [المترجم]

ويجري تعقبه باستمرار من قبل التشيكا[1]. لذلك كان من الأفضل للأرمن نقل الكرسي الرسولي إلى مكان ما خارج أرمينيا السوفيتية. وبعد أن تحقق ذلك، اعتقدت القيادة العليا في الطاشناق أنه سيكون من السهل استخدام المكانة الأخلاقية للكرسي الرسولي، لتشويه سمعة القادة الأرمن السوفيت في أعين الناس.

في وقت من الأوقات في عام ١٩٣٠ بدا أن الأحداث تلعب دورها لصالحهم، فقد توفي قداسة البابا كيفورك الخامس خلال تلك السنة. فخرج حزب الطاشناق علنا بعد ذلك وأعلن أن الحكومة الأرمنية السوفياتية لن تسمح بعقد اجتماع لمجلس الكنيسة في إتشميادزين لانتخاب خليفة له؛ وإذا سمحت بذلك، فستملي إرادتها لانتخاب رجل دين (كاثوليكوس) يكون فعليا أداة للشرطة السوفيتية السرية.

---

(١) التشيكا هي «هيئة الطوارئ الروسية لمكافحة الثورة المضادة والتخريب»، وكانت أول منظمات الأمن القومي السوفييتي، تأسست بتاريخ ٢٠ ديسمبر ١٩١٧، بعد مرسوم صادر عن فلاديمير لينين. [المترجم]

لكن كلتا النبوءتين فشلتا، فقد سمحت الحكومة الأرمنية لمجلس الكنيسة بالاشتراك مع وفود من جميع أنحاء العالم والعلمانيون ورجال الكنيسة، بالاجتماع في إتشميادزين في نوفمبر ١٩٣٢. والخليفة الجديد لعرش القديس جريجوريوس المستنير الذي تم انتخابه كان هو قداسة الكاثوليكوس خورين[١]، ولا يمكن أن يتهمه حزب الطاشناق بأنه أداة في يد التشيكا.

مع ذلك طرحوا قصة جديدة، هي أن السوفييت سمحوا بانتخاب رجل مثل كاثوليكوس خورين، لأنهم كانوا يعلمون أنه يتمتع بثقة الشعب الأرمني في الخارج؛ وبالتالي سيكون من الأسهل بالنسبة للسوفييت تضليل الأرمن من خلاله. ومادام كان الأمر كذلك فإن الكنائس ورجال الكنيسة لن يرتكبوا جريمة، إذا تجاهلوا ببساطة مراسيم الكرسي الرسولي .

وتقريبًا منذ اليوم الأول من وصوله إلى الولايات المتحدة، اضطر رئيس الأساقفة الراحل ليون توريان[٢] إلى محاربة هذه المحاولات لتقليص سلطة الكاثوليكوس، والدعاية الخفية لنقل الكرسي الرسولي من إتشميادزين.

(١) شخصية دينية أرمنية رسولية خدمت ككاثوليكوس في الفترة من ١٩٣٢ حتى مقتله في عام ١٩٣٨، وتوفي الكاثوليكوس خورين في ظروف غامضة في مقر الكنيسة البابوية في اتشميادزين. الكنيسة الأرمنية ومعظم المؤرخين يعتقدون انه قتل على يد الشرطة السرية السوفياتية.

(٢) رئيس الأساقفة ليون توريان (١ يناير ١٨٧٩: ٢٤ ديسمبر ١٩٣٣) كان أحد رؤساء الكنيسة الرسولية الأرمنية الأمريكية، واغتيل في مدينة نيويورك من قبل مجموعة من أعضاء حزب الطاشناق.

سلطات الكنيسة التي عارضت خطط وأساليب الطاشناق تعرضت للإهانات والتنديد بها في كل مكان. ودرج الحزب على وصفهم كأدوات للشرطة السرية السوفيتية، تلك الأخيرة التي أثارت المؤامرات ضد الطموحات الوطنية للأرمن وضد الطاشناق أيضا. وأعلن الطاشناق أن رجال الكنيسة هؤلاء هم حلفاء الشيوعيين. وفي الوقت الحاضر، لا يوجد أي أسقف للكنيسة الأرمنية لم يقع تحت هذا الاتهام، أو يتعرض للاضطهاد والافتراء عليه. وتوجد قائمة جزئية بأعضاء الكنيسة هؤلاء تجدونها في نهاية الكتاب[١].

(١) انظر الملحق الثاني.

سأذكر مثالاً واحدًا سيئ السمعة عن وقاحة الطاشناق في التعامل مع السلطات الكنسية التي تفشل في إرضائهم. فقد جرى التنديد بالبطريرك إسحق الأرمني[١] (Isaac or Sahak of Armenia) في سوريا بشدة من قبل جريدة الهوسابير[٢]، فرع الحزب والناطق الرسمي للطاشناق في القاهرة - مصر، بسبب نشرة حديثة حث فيها صاحب القداسة رعاياه على الامتناع عن أعمال العنف وغرس المحبة الأخوية.

كانت مناسبة هذه الرسالة الرعوية هي اغتيال أحد الأغازاريين[٣] في بيروت في شهر أكتوبر الماضي، وهو معارض قوي لحزب الطاشناق. لم يتم ذكر جريمة القتل المذكورة ولا حزب الطاشناق في الرسالة الرعوية، لكن جريدة الهوسابير المصرية شجبت بشدة ما وصفته «بنعيق نذير الشؤم» (Cawing of Ill Omen) وتقصد به نشرة البطريرك، وأغلقت افتتاحيتها بالملاحظات الملتهبة التالية:

---

(١) البطريرك إسحاق الأرمني، هو قديس أرمني واحد أهم البطاركة الأرمن في التاريخ. يعرف كذلك ب-«إسحاق العظيم» و- «إسحاق البارثي» نسبة إلى أصله للإمبراطورية البارثية. [المترجم]

(٢) جمعية الثقافة الأرمنية، وهي هيئة تابعة لحزب الطاشناق في القاهرة. [المترجم]

(٣) يذكر الواقعة القانوني الأمريكي ليونارد وينبرغ (Leonard Weinberg) في كتابه الهام «الأحزاب السياسية والجماعات الإرهابية» (Political Parties and Terrorist Groups) بأن نزاعا كان قد حدث بين الاتحاد الأرمني الثوري والهنشاك للسيطرة وفرض النفوذ على مخيمات اللاجئين الناجون من القتال في الأناضول (فيما يعرف الآن بضاحية برج حمود) وسقط فيه قتلى من الطرفين. [المترجم]

«رسالة البطريرك شريرة».

«إنها نعيق نذير شؤم يهدد شعبنا - الذي يتوق إلى السلام والحقيقة- بأخطار انقسامات جديدة .

«ومع ذلك؛ لن نكون دائما هادئين «فاحترس». «وزر دمك على رأسك[1]».

ومن خلال السيطرة على الكنائس في مختلف البلدان لم يأمل الطاشناق فقط في الفوز على الكهنة والأساقفة لدعم حملتهم ضد أرمينيا السوفيتية، ولكن أيضا للاستفادة ماليًا، لأن هذه الكنائس كانت تملك ممتلكات ودخلاً في أماكن كثيرة مربحة.

* * *

(١) تهديد مباشر بالقتل بمعنى «أنت من جلبت ذلك لنفسك». [المترجم]

حملة يائسة أخيرة

الفشل في كل هذه الجبهات والانهيار التدريجي في صفوفه، أجبر المؤتمر العام للطاشناق والذي اجتمع في باريس مارس ١٩٣٣ على اتخاذ تدابير قاسية. لقد اضطروا إلى ترويع الشتات الأرمني ليجبروه على الخضوع والتوقف فورا عن التفكك التدريجي للكوادر والصفوف. ولا يمكن أن يكون هناك وسيلة أفضل لتحقيق هذا الغرض المزدوج من بدء حملة عنيفة ضد خصومهم من الأرمن. والحرب ضد الخصم تجلب الوحدة الداخلية، وقد نجحوا جزئيا في هذا.

تقرر إنشاء مجلس أعلى سري بمقر غير معروف، ومكتب مركزي كواجهة زائفة. كانت القوة الحقيقية وتوجيه الشؤون في أيدي هؤلاء الرجال القلائل القابعين في الظلام. كانت سياسة العمل المتبعة هي المكائد السرية والمؤامرات والعنف. وفي هذه الأساليب كانوا سادة الماضي. ثم تم بث الإعلان صراحة بأن العقبة الوحيدة أمام هيمنتهم على الشتات الأرمني كانت هي الحزب الليبرالي الديمقراطي الأرمني. لذلك، يجب قتالهم بكل الوسائل وعلى كل الجبهات.

كان العذر الفوري للقتال هو علم الألوان الثلاثة للحكومة الأرمنية البائدة. نشبت كل المشاجرات المفاجئة في مصر وفرنسا واليونان وأمريكا وبلغاريا حول هذا العلم الذي أراد الطاشناق رفعه في كل عمل عام، وفي كل مكان به اجتماع عام .

أعمال العنف اندلعت في أعقاب هذه المشاجرات. وتعرض القادة الأرمن ذوي المكانة الرسمية - سواء من العلمانيين أو رجال الكنيسة - للاعتداء في مصر وسوريا واليونان وأمريكا وأماكن أخرى. حتى جرائم القتل ارتكبت في بعض هذه البلدان.

اغتيل الراحل المأسوف عليه كثيرا؛ رئيس الأساقفة توريان - أسقف الكنيسة الأرمنية في أمريكا - لأنه أطاع أوامر قداسة الكاثوليكوس لإبقاء الكنيسة بعيدة عن التأثيرات السياسية ومنع استخدامها كسلاح معنوي في أيدي الكافرين والأعداء المعلنين لحكومة أرمينيا. لم يكن ينتمي إلى أي فصيل سياسي، كان خادما مخلصا للكنيسة فقط، ويحفظ مصالحها فقط في أعماق قلبه.

خلال التحضيرات التي جرت في اليوم الأرمني في معرض شيكاغو العام الماضي، أيد قرار اللجنة المسؤولة، والتي كانت تعرض فقط أعلام النجوم والخطوط (علم الولايات المتحدة). وقد عارضته مجموعة من أتباع الطاشناق، الذين أصروا على جلب الراية ذات اللون الثلاثي للحكومة الأرمنية السابقة إلى القاعة، على الرغم من قرار اللجنة. وتم دعم موقف الأسقف بتصويت أغلبية ساحقة من الجمهور.

مع ذلك، فإن حادث شيكاغو لم يكن السبب الحقيقي لمعارضة الطاشناق للأسقف؛ فقد بدأ هذا العداء بعد فترة وجيزة من وصوله إلى هذا البلد (الولايات المتحدة) في عام ١٩٣١، ومحاولته الحفاظ على المكانة الأخلاقية للكرسي الرسولي في إتشميادزين - الذي كانت تقدمه صحافة الطاشناق للناس وكأن جهاز الشرطة السرية السوفيتي التشيكا يسيطر عليه.

وعارض رئيس الأساقفة أيضًا دعاية الطاشناق المؤيدة لنقل الكرسي الرسولي من أرمينيا إلى بلد آخر. لأن نجاحهم في هذه الخطوة كان يعني إغلاق مركز روحي موجود منذ ستة عشر قرنًا، والمحو النهائي للمسيحية من أرمينيا السوفيتية. الأساقفة الأرمن في جميع أنحاء العالم تصرفوا مثل رئيس الأساقفة توريان، وأيضا معظمهم أصبحوا هدفا لعداوة مجتمع الطاشناق.

تم استخدام الحادث في شيكاغو كذريعة لتكثيف اضطهاد الأسقف، وبقيادة صحيفة ذا هيرنيك، الناطق الرئيسي بلسانهم في بوسطن. هرعت منظمة الطاشناق بأكملها إلى طريق الحرب، وألقيت الافتراءات والإهانات بوفرة على رجل الكنيسة الذي تجرأ على «إهانة راية الألوان الثلاثة»، ولعدة أشهر قبل وفاة هذا القديس الخادم للرب، كانت الكراهية المريرة والإدانة يُصبان عليه من جانب صحيفة الهيرنيك وتزأر عليه كل المنصات.

تم اتهامه في البداية كعميل لجهاز التشـيكا السـوفياتي، وطالبوا بطرده من منصبه. ثم هُددَ بالعنف سرًا في البداية؛ ثم سرعان ما أصبح التهديد علني. وإلى جانب صـب سـمومها وخبثها في افتتاحياتها أجازت الهيرنيك الجريمة في الردود على الرسـائل التي تصـلها من القراء والتي طالبت بمعاقبة رئيس الأساقفة بلا رحمة. وفي ٢٧ تموز (يوليو) ١٩٣٣، نشرت خطابًا يعد فيه كاتبه بتقديم مكافأة نقدية لأولئك الذين سـيعلمون الأسـقف درسًـا. بينما طالب كاتب رسالة أخرى، نشرتها مجلة هيرنيك في ١ أغسطس ١٩٣٣، بأن يعاقب توريان «بلا رحمة»، وأعرب عن دهشـته من أن «توريان غادر شـيكاغو دون أن يعاقب».

كانت النتائج المؤسـفة لهذا التحريض المتعصّـب في طريقها للظهور في القريب العاجل. ففي ١٣ أغسـطس ١٩٣٣، هاجم بعض الشـباب اليافعين الذين ينتمون إلى مجتمع الطاشناق الأسقف في ويستبرو ماساتشوستس، وكان من الممكن أن يتسببوا في إصابة جسدية خطيرة له لو لم ينجح الحراس في منعهم.

ثلاثة من هؤلاء المعتدين اعتقلوا وحوكموا وعوقبوا. لكن صحيفة الهيرنيك تسـاهلت مع هذا الاعتداء السـافر في افتتاحيتها في ١٧ أغسـطس ١٩٣٣، وجعلت الجناة أبطالا، وفي الوقت نفسه ألقت اللوم على ضحية هذه الواقعة.

الغالبية العظمى من المجتمع الأرمني دعمت الأسقف. ورضي صاحب القداسة، الكاثوليكوس في إتشميادزين، الرئيس الأعلى للكنيسة الأرمنية، على سلوك رئيس الأساقفة وأرسل له مرارًا وتكرارًا بركاته وثقته التامة. وأمر أن يتوقف الجدال وأن يتبع المجتمع الأسقف.

الطاشناق وحدهم تحدوا سلطة قداسته، واستمروا في معارضتهم الفوضوية بطريقة أكثر عنفا. فإلى جانب تحريض أتباعهم على قتل الأسقف، قامت منشورات الطاشناق بكل شيء آخر من أجل إصابته معنويا وماديا.

في مقال افتتاحي قاسٍ بعنوان «تحفة من النفاق»، أهانت الهيرنيك الأسقف الراحل وطعنت في دينه - بعد أن نشر خطابًا رعويًا بمناسبة الكريسماس حث فيه شعبه على نبذ الكراهية والأنانية وغرس المحبة الأخوية والتسامح - قالت فيه «إن رجل الدين هذا الذي لا قيمة له وقح للغاية، حتى أنه لا يخجل من إعطاء مثل هذه النصيحة».

وتواصل حديثها صحيفة الطاشناق وتعلن: «في الواقع، بدلاً من مخاطبة هؤلاء الناس المحبوبين بتلك الخطب التي لا يستطيع أحد تصديقها، كان على رئيس الأساقفة ليون تقديم خدمة مسيحية ووطنية مخلصة إلى هذه الجالية (الأرمنية) وهذه الكنيسة - إذا كان له حظ على الأقل بالإلهام من سر عيد الميلاد الكبير، وبالحكمة العامة المتمثلة في الاعتراف بالخطايا التي ارتكبها - أن يعتزل الآن وإلى الأبد ميوله الآثمة لتقسيم هذه الجالية وهذه الكنيسة».

ظهرت الافتتاحية في ٢١ ديسمبر ١٩٣٣ قبل ثلاثة أيام من اغتيال الأسقف في كنيســـة الصـــليب المقدس الأرمني في نيويورك[١]. هذه الجريمة الرهيبة صدمت الجميع باستثناء أعضاء حزب الطاشناق وقادتهم والصحافة التابعة لهم. هذه الأخيرة اســتطاعت بالكاد أن تخفي رضـــاها. وكان أســفهم الوحيد هو أن ثمـانيـة أفراد من مجتمعهم تم اعتقـالهم ووجهـت إليهم تهمـة القتـل. حتى أنهم حـاولوا تبرير الجريمة، وحملوا الضـــحية ومؤيديه المســـؤولية الأخلاقية عن المأساة الدموية.

ثم خرجت صحيفة بوسطن هيرنيك - التي ظلت تبث الكراهية ضد الأسقف لمدة ســتة أشــهر وألهبت عواطف أتباعها حتى ابيضــت نيرانها - في افتتاحية صريحة في عددها الصـادر في ٢٧ ديسمبر ١٩٣٣، وأعربت عن أملها في أن دماء رئيس الأســاقفة يجب أن «تجعل جميع أولئك الذين يحرضـون ويشـعلون مشاعر الجماهير يثوبون إلى رشدهم أخيرًا».

وفي نفس الوقت، ألقت صـــحيفة حزب الطاشـــناق باللائمة في هذا الحادث المؤسف على التشيكا - الشرطة السرية السوفيتية - وخصوم الاتحاد الثوري الأرمني. «علاوة على ذلك، تقول الهيرنيك: «أصــبح خصــوم الاتحاد الثوري الأرمني بالتدريج متهورون للغاية ورعناء في ســلوكهم التحريضـــي وعنادهم، وبشكل مندفع، ما جلب علينا الواقع العاصف الذي نحن فيه».

(١) التحريض العلني والحملة والصـحفي المكثفة ضـد الأسقف كانت سببا مباشرا في ارتكاب الجريمة على هذا النحو داخل دار العبادة. [المترجم]

هذه العبارات أعلاه يمكن أن تعني شيئًا واحدًا فقط، أن أولئك الذين يجرؤون على معارضة مجتمع الطاشناق لا بد أن يعانوا من الانتقام والعقاب البدني. هذه اللغة والعقلية كانت في السابق حكرا فقط على المافيا الإيطالية وعصابات العالم السفلي.

ولم تُدِن أي صحيفة للطاشناق عملية القتل دون إبداء التحفظ. حتى أن البعض قدم تبريرات للجريمة، كما فعلت صحيفة باريس هاراتش (Paris Harach) في عددها الصادر في ٥ يناير ١٩٣٤، بالكلمات التالية:

«إذا كان حزب الطاشناق أو أي طاشناقي قد اقترح هذا القتل، في ظل هذه الظروف الرهيبة ودون أي عذر، فيجب أن يحاكموا ويدانوا أيضًا». «أما عن المبررات فقد كان لحزب الطاشناق الكثير منها بالفعل».

ولم يتردد الرأي العام الأرمني في التوصل إلى قرار مفاده أن الجماعة التي كرهت واضطهدت بشدة رئيس الأساقفة؛ كانت مرتبطة بشكل وثيق مع المحرضين والمتآمرين في جريمة القتل.

واجتاحت موجة كبيرة من السخط والاحتجاج المجتمعات الأرمنية في جميع أنحاء العالم والولايات المتحدة. وعقدت اجتماعات جماهيرية عامة اتُهم فيها مجتمع الطاشناق وقادته بالمسؤولية عن الجريمة؛ وطالب الناس الذين هزت أرواحهم الجريمة البشعة، بالبحث عن القتلة الفعليين وكذلك مخططي الجريمة وتسليمهم إلى العدالة.

أقيمت مراسم تذكارية خاصة في الكنائس الأرمنية في جميع أنحاء العالم، ونعى أعلى السلطات الكنسية وفاة الأسقف وأعلنوه شهيدا. وخرجت جميع المنظمات والجماعات الوطنية بشكل رسمي، وأعربت عن أسفها الشديد لهذه الجريمة. وأدانت جميع الصحف الأرمينية الاتحاد الثوري الأرمني باعتباره المسئول عن هذه الجريمة؛ الجميع تصرف وفعل نفس الشيء. باستثناء الصحافة الطاشناقية، التي تصرفت بإخلاص لطريقتهم التقليدية في تشويه سمعة ضحاياهم. وحتى بعد وفاته تعرض الأسقف الراحل إلى السب والتشهير.

ومهما يكن مصير المتسللين الطاشناق التسعة الذين يتم توجيه الاتهام إليهم الآن في نيويورك لقتل رئيس الأساقفة، فإن الجمهور الأرمني سيكون دائمًا حازمًا في اقتناعه بأن المطالبات بالعدالة لن ترضى إلا بإيجاد المحرضون والمتآمرون الحقيقيون لهذه الجريمة المفزعة ومعاقبتهم.

لقد استشهد رئيس الأساقفة الراحل ليون توريان بسبب إخلاصه لواجبه وإلهه.

* * *

خاتمة

حزب الطاشـناق تأسـس من أجل تحرير أرمينيا التركية. لكن فشـل قادته، وجميعهم من الأرمن القوقازيين، في مراعاة الظروف السـياسـية والاجتماعية الخاصـة التي عاش الشـعب الأرمني في ظلها؛ واسـتخدمت السـلطات التركية محاولاتهم وأساليبهم التمردية كذرائع للمذابح والقمع المتجدد.

انتهازيته وفسـاده الداخلي وأسـاليبه الإرهابية منعت أفضـل العناصـر الأرمنية من الانضـمام إلى الحركة الأرمنية من أجل الاسـتقلال الأرمني؛ في حين أن تمسـكه بالاشـتراكية الروسـية خلق الارتباك وأهدر الكثير من الطاقة الثمينة في دوامة الثورة الروسية.

أفعاله الاسـتكبارية في التعامل مع الهيئات الأرمينية التي أقيمت في تركيا، أوجدت نزاعات داخلية ومنعت تشـكيل جبهة موحدة ضـد الحكومة التركية قبل الحرب العالمية، وفي مؤتمرات الحلفاء بعد الحرب، وبالتالي منعت حل المسألة الأرمنية التركية بشكل مستقل بعيدا عن مسار الثورة الروسية. هذا الفشل حدث في معاهدة سـيفر، بتوقيعهم على هذه المعاهدة بأنفسـهم، بدلاً من الوفد القومي الأرمني وهو الممثل الشـرعي للأرمن في تركيا، وجلبت حكومة الطاشـناق في جمهورية أرمينيا على نفسها الهجوم التركي وسرعت سقوطها.

ولقد أثار الوزراء والمسـؤولون السـابقون في جمهورية أرمينيا النزاعات والخلافات الداخلية أينما ذهبوا، من أجل فرض إرادتهم على الشـعب الأرميني ومؤسساته. وبكونهم المؤمنين دائما بالأساليب الإرهابية والآمنين منها، شجع قادة الطاشناق استعمال العنف جسدي ضد خصومهم، ونتيجة لذلك اُرتكبت العديد من أعمال العنف على يد أتباعهم خلال السنوات القليلة الماضية في مختلف البلدان.

وفي الوقت الذي يرى فيه الشعب الأرمني ككل وجميع منظماته السياسية والخيرية والكنسية وما إلى ذلك مستقبلاً سياسيًا لعرقنا في أرمينيا السوفيتية الحالية، وبالتالي يدعم الدولة رغم نظامها الشيوعي، ويرغب في تقديم مساعدته لإعادة إعمارها؛ يقف حزب الطاشناق بمفرده في معارضته لها، وتأييده لانفصالها عن الاتحاد الفيدرالي للسوفييت ويثير المؤامرات ضد حكومتها.

ولهذا كله نرى صورة الاتحاد الثوري الأرمني كعدو لنواة الحياة السياسية الأرمنية؛ وكمنظمة انحدرت وانحطت لمدى بعيد، بحيث يمكن مقارنتها مع المافيا الإيطالية وعصابات هذا البلد. إنه يقف وحيدا ومدانًا من الجمهور الأرمني. يديه مشرعة بالأذى ضد الجميع، وقد هز تآمره وجرائمه ضمير جميع الأرمن الشرفاء، وألحقت العار بشعبنا أمام العالم المتحضر.

* * *

مـلاحق الكـتاب

الملحق الأول

قائمة جزئية بضحايا الإرهاب من الأرمن

١- إسحاق أمهريان وهو مليونير ثري يعيش في موسكو، طعن حتى الموت في عام ١٩٠٢ في محيط الكنيسة الأرمنية في موسكو على أيدي أفراد مجموعة كانوا قد اختطفوه سابقًا وحاولوا ابتزاز المال منه.

('History of the Dashnagtzoutune', by M. Varandian, pages ٣٢٥-٣٢٦-٣٢٧).

٢- ماتيوس باليوزيان، أحد التجار الأرمن الأثرياء في سميرنا، قُتل في عام ١٩٠٢ على يد هورين سركيسيان أحد أعضاء مجموعة الطاشناق السرية.

.('History of the Dashnagtzoutune', by M. Varandian, pages ٤٥٠).

واتهم باليوزيان بخيانة الثوار الأرمن لصـــالح الحكومة التركية. هذا الاتهام ليس له أســـاس من الصـــحة. والدافع الأكثر احتمالا لقتله هو أنه رفض تقديم مساعدة مالية للزعماء الثوريين المحليين.

٣- قتل جريكتزيان في أرضـــروم عام ١٨٩١ بقرار من لجنة الطاشـــناق المحلية. واتهموه بالكثير، وأكثر التهم قالها أرام أراميان الذي قتل جريكتزيان.

('History of the Dashnagtzoutune', by M. Varandian, page ٨٦)

٤- ميهران وهو مقاتل مشـــهور في الاتحاد الثوري الأرمني، واعترض على تبني الاشتراكية كبرنامج من قبل الجماعة، وفي معارضته هدد باستخدام العنف. وتمت إدانته من قبل مؤتمر الطاشـــناق في فيينا عام ١٩٠٧ وحكم عليه بالإعدام. تم تنفيذ العقوبة في عام ١٩٠٩.

('History of the Dashnagtzoutune', by M. Varandian, page ٤٩١).

٥- آرســـن فارتابيد رئيس دير أختمار الواقع بالقرب من فان؛ قتل وسكرتيره ميهران بوحشية في عام ١٩٠٤ على يد إشكان الزعيم الطاشناقي الشـــهير. هاجم إشكان وعصـــابته الدير في إحدى الليالي وسـحبوا رئيس الدير وســـكرتيره وأطلقوا النار عليهم أولاً ثم طعنوهم حتى الموت. ثم قطعت الجثث إلى أجزاء وألقيت على ضفاف بحيرة فان. كان آرسن فارتابد رجل دين مقدس ووطني، لكنه كان يعارض خطط إشـــكان الذي أراد التحكم في ممتلكات ودخل الدير، وبعد وفاة رجل الدين قام إشكان وعصابته بنهب الدير القديم.

٦- ديفيد ديرزي وكان رجل مؤهل جدا وجدير بالثقة في صـــفوف كوادر الطاشناق في فان. وتمتع ديفيد بثقة اللجنة المحلية وعرف كل أسرار الجماعة، لذلك أرسلته اللجنة إلى بلاد فارس في مهمة سرية، وعند عودته إلى فان وجد أن خطيبته قد تعرضـــت لســـوء المعاملة على نحو خطير من قبل آرام، زعيم الطاشناق الرئيسي في المنطقة.

وتم نزع سلاح ديفيد وسجنه على الفور بناءً على أمر أرام، لكنه تمكن من الفرار. وتحت تـأثير الغضـــب الأعمى والرغبـة في الانتقام؛ ذهب للســلطات التركية واعترف بكل شــيء مما تسـبب في اعتقال الكثيرين، ومصــادرة جميع أسلحة التنظيم. ثم في يوم من الأيام قتل رميًا بالرصاص عام ١٩٠٨.

٧- غارجانتزي مانوج - وهو من الطاشــناق الســابقين ومعارض لســلطة وتعســف إشــكان القائد الحزبي الطاشــناقي – أطلق عليه النار وقتل في عام ١٩١٠، لكن القاتل أصيب بطلقات أطلقها عليه أحد رفاق الضحية ومات متأثرا بجراحه بعد أيام قلائل بعد أن اعترف بمسئولية إشكان عن الحادث المؤسف.

٨- بيردوس كاباماجيان عمدة مدينة فان، وهو رجل ثري وطموح، استعدى إشــكان بمواقفه منه، فتم إطلاق النار عليه وقتله في إحدى ليالي الشـــتاء عام ١٩١٢ بينما كان يهم بدخول عربته مع زوجته وابنته.

٩ - هابارتزوم أراكليان المحرر المعروف لمجلة موشـــاج (Mushag) في تيفليس والبـالغ من العمر ٧٠ عـامـا، كـان أحد المؤيدين الأقوياء للاتحاد الثوري الأرمني، لكنه اسـتخدم قلمه السـاخر واللاذع بلا هوادة ولسـنوات لصـفع الغباء والتعســف الذي يرتكبه الطاشــناق، ثم في إحدى الليالي طُعن حتى الموت في فراشه على يد بعض الإرهابيين.

وبعد الحادث كان غالبا ما يشار إليه في صحف الطاشناق بلقب الخائن. وألقى الرأي العام باللائمة على لجنة الحزب في تيفليس بارتكاب هذه الجريمة، والتي تبعها بطبيعة الحال والمعتاد، حملة تزييف وافتراء في صحف الطاشناق في جميع أنحاء العالم، كل ذلك حدث عام ١٩١٨.

١٠ - جارجيجيان وهو من الرتب العالية في حزب الطاشناق، وكان يشغل مقعدا وزاريا في جمهورية أرمينيا في يريفان، أطلق عليه الرصاص وقتل في أواخر عام ١٩١٨ على يد أحد أعضاء الاتحاد الثوري الأرمني وهو الضابط إيجور دير ميناسيان. ولم تعلن الحكومة أبدا عن دوافع الجريمة الحقيقية، وكانت الأسباب المحتملة هي الانقسامات الحادثة داخل حزب الطاشناق.

١١- بدروس أتاميان مدير صحيفة «نور أليك» التي تصدرها حركة رامغافار (Ramgavar)، تعرض لهجوم في أحد الشوارع في سالونيك باليونان في ليلة ٤ نوفمبر ١٩٢٦، وضُرب على رأسه وطُعِن؛ ثم توفي في المستشفى بعد بضع ساعات. ألقي القبض على أرشاج إينوفكيان Arshak Enofkian، وهو من الطاشناق بتهمة ارتكاب هذه الجريمة، مباشرة قبل أن يبحر من سالونيكي إلى مرسيليا في فرنسا بجواز سفر مزور. أجريت جلسات القضية أمام المحكمة الجنائية في سالونيكي في ٢٦ و ٢٧ و ٢٨ يناير ١٩٢٨. أدين أرشاج إينوفكيان كشريك في الجريمة، وحُكم عليه بالسجن أربع سنوات من الأشغال الشاقة وغرامة قدرها ١٥٠٠٠ دراخمة.

١٢- دخروني (Dekhruni) وهو مثقف وعضو في الحزب الطاشناقي، تم إطلاق النار عليه وقتل عام ١٩٢٩ في بيروت سوريا. واتهم الطاشناقي كوشوك ستيبان بالقتل ولكن تمت تبرئته في النهاية. كان دخروني معارضًا قويًا لحزب الطاشناق، وألقى الرأي العام بالمسئولية عن هذا القتل على لجنة الطاشناق في بيروت

١٣- ساركيس كيجيان المثقف والمعارض الطاشناقي، الذي كان يعارض مكتب الحزب في باريس، تم إطلاق النار عليه حتى الموت في أثينا باليونان في ٢٠ يوليو ١٩٣٣ واتهمت السلطات عدة أفراد من حزب الطاشناق بهذا القتل.

١٤- ميهران أغازاريان، محرر صحفي وعضو في حزب الهنشاك[١] وخصم لدود لحزب الطاشناق، والذي جرت بالفعل محاولة اغتيال له قبل عدة سنوات، تم إطلاق النار عليه وقتل في بيروت التابعة لسوريا آنذاك في ١٣ أكتوبر ١٩٣٣. لم يتم القبض على القتلة حتى الآن، ولكن الشعب الأرمني اتهم مجتمع الطاشناق المحلي علنا بهذه الجريمة، ومنح الضحية جنازة وطنية .

* * *

(١) حزب الهنشاك الاشتراكي الديموقراطي الأرمني هو حزب سياسي ديمقراطي اجتماعي ذو اتجاه يساري، أسسه مجموعة من الطلبة الأرمن سنة ١٨٨٧ في جنيف، سويسرا. وذلك من أجل نيل أرمينيا استقلالها عن الإمبراطورية العثمانية.

الملحق الثاني

الكنائس الأرمنية التي اضطهدها الاتحاد الثوري الأرمني

لم يكن رئيس الأساقفة ليون توريان، الذي قُتل بوحشية في ٢٤ ديسمبر / كانون الأول ١٩٣٣ في كنيسة الصليب المقدس الأرمنية بنيويورك على أيدي إرهابيين من الطاشناق، هو الشخصية الكنسية الوحيدة ذات الرتبة العالية التي اضطهدها الاتحاد الثوري الأرمني. فقد شن هذا التنظيم حملة من الافتراء والاضطهاد ضد جميع قادة الشعب الأرمني، الذين لم يسمحوا باستغلال وانتهاك الكنيسة والمؤسسات الوطنية من قبل الطاشناق. كانت هذه الحملة موجودة لفترة من الوقت، لكنها اتخذت طابعًا أكثر عنفًا في السنوات القليلة الماضية

وفيما يلى أبرز رجال الكنيسة الذين تعرضوا للاضطهاد من قبل حزب الطاشناق:

- الأسقف المعظم ميسروب ماجيستروس؛ كان هذا الكاهن سابقًا أسقف تيفليس في القوقاز وخلال الحرب العالمية ترأس ما يسمى بالمكتب الوطني الذي كان يعمل في تجنيد وتجهيز أفواج المتطوعين الأرمن للجيش الروسي. كان هذا المكتب تحت سيطرة حزب الطاشناق، وتم تقديم رئيس الأساقفة في صحف الطاشناق في كل مكان باعتباره وطنيًا عظيمًا قبل بضع سنوات،

كذلك تم تعيين هذا الرجل البارز في الكنيسة أسقفا لإبراشية الهند الفارسية. لكن نظرًا لموقفه الودي تجاه أرمينيا السوفيتية؛ وصمه مجتمع الطاشناق بأنه شيوعي في الحكومة الفارسية، ونتيجة لهذا الاتهام الخاطئ تم طرده من بلاد فارس.

- المطران روبن ماناسيان وهو أسقف الأرمن في بلاد ما بين النهرين. لسنوات تعرض هذا القيادي الكنسي للاضطهاد في صحف الطاشناق. ووصل الأمر إلى تعرضه للهجوم ذات مرة في مدينة بغداد. حاولت صحف الطاشناق تشويه سمعة الأسقف روبن باعتباره «عميل لأجهزة الأمن الروسية، ونشرت قصة ملفقة طويلة حوله لإثبات اتهاماتهم المزيفة. قام الأسقف برفع دعوى تشهير ضد جريدة الهوسابير[1]؛ جناح الطاشناق بالقاهرة. ووجدت المحكمة المختلطة في القاهرة - المؤلفة من قضاة مصريين وأوروبيين - أن الهوسابير وناشروها مذنبون؛ وحُكم عليهم بدفع غرامة ونفقات المحاكمة.

كما اتهم المجتمع الطاشناقي الأسقف روبن بأنه بلشفي ومع ذلك فإن حكومة العراق لم تستجب لهذه الاتهامات المزيفة؛ وعبر الملك الراحل فيصل عن ثقته واحترامه للأسقف من خلال استقباله في البلاط الملكي .

---

(١) الهوسابير هي جريدة يومية تصدر باللغة الأرمنية في مصر منذ عام ١٩١٥.

- يعتبر الأســـقف المعظم هوســـينج زوهرابيـان، أســـقف الأرمينيين في رومـانيا، من أكثر رجال الدين جدارة و كان من المفترض أن يكون محبوبا من جانب حزب الطاشناق، لكن عندما عارض المؤامرات واستغلاليات هذا التنظيم وأغلق أبواب المطرانية في وجه قادة وعمال الطاشـناق، بدأت ضـده حملة من الاضـطهاد والافتراء. ودافع رئيس الأساقفة هوسينج عن مصالح الكنيسة بقوة، وهزم جميع المؤامرات ضد منصبه وضد المطرانية الرومانية الأرمنية.

- المطران غـارابد مظلوميـان أســـقف الأرمن في اليونـان الذي رفض أن يكون أداة في أيدي أعداء أرمينيا. تعرض للهجوم والضـــرب في إحدى الليالي على أيدي عملاء الطـاشــناق، الذين قاموا أيضًـــا بقص لحيته من أجل إهانة الأسقف المسن. كما تم اتهامه بأنه «عميل الشيكا» (الشرطة السرية البلشفية) لدى الحكومة اليونانية. لكن هذا الاتهام الزائف لم يصدقه أحد.

- صـــاحب الســـيادة القس المطران توركوم بطريرك القدس: بينمـا كان مطران مصــر، تبرع بخاتم من الزمرد الثمين لصـــالح قرض اسـتقلال أرمينيا (١٩٢٠)، وكان يقيم شعائر عيد الشكر في الكنائس. وبعد إنشاء النظام السوفيتي في أرمينيا احتفظ الأسقف توركوم بصفته أرمنيًا وطنيًا بموقف ودي وسليم تجاه الحكومة الجديدة. وقال إنه لن يسـمح للوزراء وكبار الشـخصـيات في الحكومة الســابقة والذين اســتقروا في مصـــر بعد طردهم من أرمينيا، أن ينهبوا الدخل والممتلكات التابعة للمؤســســات الكنســية بالقاهرة والإســكندرية، وقمع جميع محـاولات الاســـتغلال بيد حديدية. لذلك أثار العداء المرير ضـــده من جانب الطاشناق.

لذلك صـحيفة الهوسـابير التابعة للطاشـناق وزملاؤها في مصـر؛ أهانوا الأسـقف وأسـاءوا لسـمعته بأحط اسـلوب في مقالاتهم وأعمدة جرائدهم. لدرجة أنهم هاجموه ووصـموه أمام الحكومة المصـرية بأنه بلشـفي. وفعلوا كل ما بوسعهم لمنع تنصيبه واختياره لبطريركية القدس.

- تعرض قداسـة خورين الأول، كاثوليكوس جميع الأرمن، للهجوم من قبل صـحافة الطاشـناق وأذاعت أن منشـوره الدوري الأول للكنائس هو مسـتلهم من الأجهزة الأمنية البلشـفية السـرية (الشيكا). ووصِم الحبر الأعظم خورين الأول بأنه مجرد أداة، وأُعلن أن أوامره وتعليماته باطلة ودون أي قيمة.

ودعت صـحافة الطاشـناق صـراحة إلى التمرد ضـد تنفيذ تلك الأوامر. كل ذلك جرى باسـم «الحقوق الشـعبية». واتُهم قداسـة الكاثوليكوس والمجلس الروحـاني الأعلى بـاسـتمرار بـأنهم عملاء للشـيكـا، واعتبرت كـاتـدرائيـة إتشـميادزين وكرا للشـرطة السـرية البلشـفية. وامتلأت افتتاحيات صـحيفة هيرنيك، فرع حزب الطاشـناق في بوسطن، بهذه التحريفات على مدار الأشـهر الستة الماضية.

- قداسة ساهاك (Sahak)، كاثوليكوس سيليشيا، الذي يستقر الآن في أنطلياس بالقرب من بيروت، تعرض لهجوم مهين من قبل الهوسابير صحيفة الطاشناق في القاهرة. وبعد اغتيال ميهران أغازاريان المؤسف في بيروت في أكتوبر الماضي، نشر قداسة خطابًا رعويًا يدعو فيه أتباعه إلى الهدوء والسلام ومراعاة المحبة الأخوية، والامتناع عن أعمال العنف وأن يكونوا مواطنين ملتزمين بالقانون في الأرض التي اتخذوها ملجأ لهم. وفي عددها الصادر في ٦ ديسمبر ١٩٣٣، شجبت «الهوسابير» هذه الرسالة الرعوية باعتبارها «نعيق نذير الشؤم»، وأهانت البطريرك البالغ من العمر ٨٥ عامًا ووصفته بالشرير، وأنه الرجل الذي وضعه السلطان في منصبه؛ والشخص الذي يحرض على الاضطراب القومي.

* * *

الملحق الثالث

المادة ٦١ من معاهدة برلين

- بعد انتهاء الحرب الروسـية التركية في الفترة ١٨٧٧-١٨٧٨، والتي تعرض فيها الأتراك للهزيمة التامة، اجتمعت القوى الأوروبية في مؤتمر عقد في برلين لتسوية جميع المشاكل التي تؤثر على أوروبا ككل، ووضع معاهدة سلام بين المقاتلين. في هذا المؤتمر، تم الاعتراف بالمسألة الأرمينية باعتبارها مشكلة دولية، بموجب المادة ٦١ من المعاهدة.

إليكم نص هذه المادة:

«يتعهد الباب العالي (التركي)، دون مزيد من التأخير، بإجراء التحسينات والإصلاحات التي تتطلبها المتطلبات المحلية في المقاطعات التي يسكنها الأرمن، وضمان أمنهم ضد الأكراد الشراكسة. وسيقوم الباب العالي بالإعلان بشكل دوري عن الخطوات المتخذة لهذا الغرض إلى الدول التي ستراقب تطبيقها.

* * *

الملحق الرابع

معاهدة ألكساندروبول

لم يتم نشــر نص المعـاهـدة الموقعـة بين الوفـد الأرمني والأتراك في ألكسـاندروبول من قبل المسؤولين عنها. وحتى السيد أ. خاتيسيان، رئيس الوفد الذي وقع المعاهدة، ولا السـيد س. فراتزيان، رئيس الحكومة الأرمينية في ذلك الوقت - واللذين كتب كلاهما مجلدات تاريخية كثيرة عن جمهورية أرمينيا - لم يتعرضا إلى نص معاهدة في كتبهم. هذا الإغفال قد يكون بسبب الشعور بالذنب والعار في قلوبهم.

فيما يلي ترجمة للوثيقة كما نُشرت في الصحافة التركية - :

المـادة ٣ - كما هو واضــح من الإحصـــائيات التركية والروســـية وجميع الإحصـاءات العالمية الأخرى، ومن الوضع الاجتماعي المستقر، فإننا مرة أخرى في هذه المناسـبة نؤكد على عدم وجود أراضــي داخل الحدود العثمانية يشكل الأرمن فيها الأغلبية.

(**المادتان ٤ و ٥-** ترســـمان الحدود بين أرمينيا وتركيا والتي بموجبها، مدن ومناطق: قارص وأردهان وإكدير وألكســاندروبول وأيضًــا جبل أرارات وغيرهـا من المنـاطق المهمـة تُركت إلى تركيـا. أرمينيـا تقريبا جرى خفض حجمها إلى النصـــف وانكمشـــت إلى الحدود المرسومة في معاهدة باطوم في عام ١٩١٨).

المـادة ٦ ـ فيمـا يلي، وبنوايا حســـنة لمنع أي فعل أو حادثة قد تزعج الهدوء عبر الإثـارة والتحريض، تتعهد حكومـة يريفـان بعدم الســـمـاح بوجود تنظيم عسكري، باستثناء فرقة من ١٥٠٠ جندي مدفوعي الأجر (نظاميين) ومسلحين بـــ ٨ مدافع ميدانية أو جبلية و ٢٠ مدفع رشـاش، والتي ستحمي حدود البلاد؛ وقوات درك بتسليح خفيف (شــرطة) والتي ســتكون قادرة على حفظ النظام الداخلي للبلاد.

جمهورية أرمينيا لها الحرية في إقامة التحصـــينات لحماية البلاد من الأعداء، ووضـع أكبر عدد ممكن من الأسلحة الثقيلة في هذه التحصـــينات. لن تحتوي هذه المدفعية الثقيلة على هاوتزرات من عيار ١٥ سم والمدافع طويلة المدى من عيار ١٠،٥ سم، ومدافع الهاوتزر الأخرى، والتي قد يمكن اســتخدامها في الجيش إذا لزم الأمر.

المـادة ٧ ـ توافق حكومـة يريفـان على أن الوزير أو المندوب التركي، الذي ســيقيم في يريفان بعد إقامة الســـلام، يشـــرف على هذه الأمور ويراقبهـا. ومقـابل ذلك، تتعهد الجمعية الوطنية الكبرى لتركيـا، كلما رغبت جمهورية أرمينيا بذلك، بتقديم المســـاعدة المســـلحة لأرمينيا، ضد الأخطار الداخلية والخارجية.

(تتعلق بقية المادة ٧ والمادة ٨ بمسألة إعادة اللاجئين والفارين إلى الوطن).

المادة ٩- حكومة مجلس الأمة التركي، رغم أنها اضطرت لتمويل جيش لمدة عامين وبنفقة كبيرة لذلك الأمر، ومع أن لها الحق في المطالبة بالتعويض نتيجة للحرب ضد أرمينيا والتي تم إجبارها على شنها، فإنها تتخلي عن هذا التعويض، لأنها تكن احتراما شديدا للمبادئ الإنسانية والقضائية المقبولة والمعروفة.

المادة ١٠ - تتعهد حكومة مجلس الأمة في تركيا، بكل إخلاص، بالمساعدة في تطوير حكومة يريفان، وترسيخ سلطتها، كما هو موصوف ضمن الحدود الموضحة في المادة ٤.

المادة ١١ - تعلن حكومة يريفان أنها تعتبر معاهدة سيفر لاغية وباطلة، والتي تم رفضها تمامًا من قِبل مجلس الأمة الكبير لتركيا. وهي تتعهد بسحب وفودها إلى أوروبا وأمريكا، والتي هي أدوات في أيدي بعض الحكومات والدوائر الإمبريالية. ويتحمل كلا الطرفان التزامات متبادلة بحسن النية لإزالة جميع أنواع سوء التفاهم القائمة بين البلدين.

كدليل على صدق رغبتها في التطور بسلام واحترام حقوق حسن الجوار مع تركيا، فإن الحكومة الأرمنية مستعدة لإبعاد الأشخاص الذين يسعون وراء أهداف إمبريالية عن المشاركة في الحكومة، والذين سيتسببون في تعكير السلم بين الشعبين.

المادة ١٢ - تسمح لإدارة الشئون الدينية في الحكومة التركية[١] بالحق في تأكيد انتخاب رئيس الديانة للمسلمين الذين يعيشون في أرمينيا.

المادة ١٣ - يتعهد الطرفان المتعاقدان بشكل متبادل بعدم منع المرور الحر والعبور للأشخاص والبضائع التي تعود إلى الطرف الآخر، عبر السكك الحديدية والطرق السريعة.

تركيا، كونها مضطرة إلى منع التهييج الذي يقوم به الإمبرياليين ضد وجودها، ستحتفظ تحت سيطرتها بالسكك الحديدية ووسائل الاتصال لجمهورية يريفان، حتى توقيع سلام عام. بحيث أن كمية الأسلحة التي يتم استيرادها يجب ألا تزيد عن ما هو محدد في المادة ٦، وبشرط ألا تتداخل هذه السيطرة مع حرية النقل. أيضا، سيمنع الطرفان المتعاقدان المسؤولين والهيئات غير الرسمية والممثلين الذين ينتمون إلى القوى الإمبريالية من دخول الجمهورية الأرمنية والإقامة فيها.

(١) رئاسة الشؤون الدينية والمعروفة باسم ديانت، هي الجهة الرسمية المسؤولة عن إدارة الشؤون المتعلقة بالدين الإسلامي في تركية. [المترجم]

المادة ١٤- سيكون لحكومة البرلمان التركي الحق في تنظيم تدابير عسكرية مؤقتة في أرمينيا ضد الهجمات التي تهدد استقلال الدولة التركية وسلامة أراضيها بشرط ألا تتداخل مع الحقوق المكفولة لجمهورية يريفان[١]

المادة ١٥ - توافق جمهورية يريفان على اعتبار جميع الشروط المنصوص عليها في المعاهدات التي وقعتها مع أي سلطة فيما يتعلق بتركيا والإضرار بمصالح تركيا لاغية وباطلة.

* * *

(١) جمهورية يريفان التي تكرر ذكرها في الكتاب؛ المقصود بها جمهورية أرمينيا التي عاصمتها مدينة يريفان. [المترجم]

الملحق الخامس

مناشدة فراتزيان لتركيا من أجل المساعدة العسكرية

كرئيس للحكومة الأرمنية، أرسل سيمون فراتزيان نداءً عاجلاً إلى الحكومة التركية، طالبًا إرسال الإمدادات العسكرية والقوات التركية إلى أرمينيا، لمساعدة حكومة الثورة في قتالها ضد خصومها الأرمن. تم تسليم المستند الرسمي إلى بهاء الدين، ممثل القيادة العليا التركية في يريفان، ليتم إرساله إلى أنقرة.

إليكم النص:

«يرجى إعادة توجيه الطلب الحالي على الفور إلى سلطاتكم العليا، وكما أوضحت لكم يرجى حثهم على استجابة فورية».

«معركة أرمينيا ضد البلاشفة ومن أجل حريتها واستقلالها تخدم، ونحن مقتنعون بذلك، ليس فقط أرمينيا نفسها ولكن أيضا مصالح جميع دول الشرق الأدنى».

«لهذا السبب تأمل أرمينيا، خلال هذه المعركة، أن تتلقى مساعدة من جيرانها، وفي المقام الأول تتطلب مصالح الشعب التركي أيضًا أن تخرج أرمينيا من هذه المعركة منتصرة وأن تظل مستقلة .

وبناء على هذه القناعة؛ تطلب الحكومة الأرمنية من حكومة مجلس الأمة الكبير في تركيا، وباسم المصالح المتبادلة للشعبين، وبأسرع ما يمكن:

١- إعادة أسرى الحرب الأرمن الموجودين الآن على جبهة الحرب في يريفان.

٢ - إعطاء الجيش الأرمني بعض الذخيرة بمواصفات محددة: أولاً وقبل كل شيء خراطيش البنادق الثلاثية الروسية وبنادق موزر التركية؛ أو أي بنادق تعمل بالنظام الروسي أو نظام ليبل(١).

٣ - التواصل معنا إذا وجدت حكومة البرلمان التركي أنه من الممكن إرسال مساعدات عسكرية إلى أرمينيا، وإذا كانت قادرة على القيام بذلك؛ فإلى أي مدى ومتى؟

(١) بنادق ليبل هي بنادق فرنسية المنشأ دخلت الخدمة في الجيش الفرنسي عام ١٨٨٧ وتحمل اسم (M٩٣ ١٨٨٦ Fusil Mle) وكان لها دور كبير في الحرب العالمية الأولى. [المترجم]

«في التقدم بهذا النداء، تعتمد الحكومة الأرمينية على العلاقات الودية التي أرسـيت مع معاهدة ألكسـاندروبول، والتي أصـابها الاضـطراب أثناء حكم البلاشفة.

مع الاحترام

سيمون فراتزيان

رئيس الحكومة الأرمنية .

يريفان

١٨ مارس ١٩٢١.

* * *

الملحـــق الســـــادس

معاهدة سيفر

تتعلق المواد ٨٨-٩٣، القسم السادس، من معاهدة سيفر التي وقعتها قوى الحلفاء وجمهورية أرمينيا من جهة وتركيا من جهة أخرى؛ بأرمينيا واستقلالها. وفيما يلي ترجمة لتلك البنود كما ظهرت في الصحف الأرمنية.

المادة ٨٨ - تعترف تركيا بأرمينيا كدولة حرة ومستقلة، وفقًا للخطوة التي اتخذتها قوى الحلفاء.

المادة ٨٩ - تركيا وأرمينيا، وكذلك الأطراف السامية المتعاقدة الأخرى، توافق على أن تقدم تحكيم رئيس الولايات المتحدة؛ مشكلة الحدود التي ستنشأ بين أرمينيا وتركيا في ولايات أرضروم، طرابزون، فان، وبدليس، وقبول قراره في هذه المسألة. وكذلك جميع التدابير الأخرى التي قد يقررها فيما يتعلق بمنفذ لأرمينيا على البحر، وفيما يتعلق بنزع السلاح من الأراضي التركية المتاخمة للحدود المذكورة أعلاه.

المادة ٩٠ ـ عندما يتم رسم الحدود وفقا للمادة ٨٩، و الولايات المذكورة أعلاه أو أجزاء محددة منها يتم التنازل عنهم إلى أرمينيا، وبموجب هذا تتخلى تركيا عن جميع حقوقها والمطالبات على الأراضي التي تم التنازل عنها. ويتم تحديد مقدار وطبيعة هذه الأجزاء من الديون العامة على تركيا[١]، والتي تم تخصيصها إلى أرمينيا، وكذلك الحقوق التي سيتم نقلها إلى أرمينيا وفقًا لأحكام المواد ٢٤١-٢٤٤ من هذه المعاهدة.

سوف تسوي الاتفاقات اللاحقة، عند الضرورة، جميع المشكلات التي لم يتم تسويتها في هذه المعاهدة والتي من المحتمل أن تنشأ تدريجيًا، فيما يتعلق بنقل المقاطعات المذكورة أعلاه.

المادة ٩١ ـ في حالة نقل المناطق المشار إليها في المادة ٨٩، إلى أرمينيا، سيتم تعيين لجنة حدود، (سيتم تحديد تشكيل هذه اللجنة لاحقًا)، من أجل رسم الحدود بين أرمينيا و تركيا في غضون ثلاثة أشهر.

---

(١) الديون المترتبة على هزيمتها في الحرب لعالمية الأولى.

المادة ٩٢ - حدود أرمينيا وجورجيا وأذربيجان سيتم تحديدها من خلال اتفاقيات مباشرة بين تلك الدول .

إذا فشلت هذه الحكومات تحت أي ظرف من الظروف في تحديد حدودها من خلال اتفاقيات متبادلة، وتم بالفعل اتخاذ القرار المنصوص عليه في المادة ٨٩، في هذه الحالة سيتم تحديد الحدود بواسطة القوى الرئيسية[١].

المادة ٩٣ - توافق أرمينيا على أن تدرج في المعاهدات مع القوى الرئيسية، تلك القرارات التي تعتبرها السلطات ضرورية لحماية حقوق سكان أرمينيا، الذين يختلفون عن الأغلبية في العرق واللغة والدين .

توافق أرمينيا بالمثل على أن تدرج في المعاهدات مع القوى الرئيسية؛ تلك القرارات التي تعتبرها السلطات ضرورية لحرية العبور والعدالة تجاه تجارة الدول الأخرى.

انتهت ترجمة الكتاب

(١) القوى الرئيسية هي القوى المنتصرة في الحرب العالمية الأولى أي الحلفاء. [المترجم]

تعليق على الكتاب

لم يكن المقصـــود عندما بدأت في ترجمة هذا الوثيقة التاريخية الهامة؛ أن أحـاول إثبـات أو نفي ما حدث بين الأرمن والأتراك في الحرب العالمية الأولى. ولكن ما لمســته من وطنية المؤلف كابرييل ســيروب بابازيان وحرصـــه على مصلحة قومه، وخوفه الواضح من سفك دمائهم وتولي المفسدين زمام أمرهم؛ جعلني ألتفت إلى حقيقة أن النماذج الســيئة من الجماعات والتنظيمات المنحرفة تملأ حقب وعصور التاريخ المختلفة، وأنه لم تكد تنجو منها أمة.

«الخواتيم ميراث الســـوابق» مقولة حكيمة تلخص حقيقة هامة وهي أن ما يقدمه ويفعله الإنسـان أو أي كيان خلال مسيرة حياته؛ هو ما يصـوغ نهايتها أو نتـائج أعمـاله. وهو ذات ما اعتقده بابازيان – بحق – أن فهم الخلفيات وســـابق النشـــاطات وأســـاليب العمل والأهداف المرجوة، هو الســـبيل الأمثل لتقييم أي جماعة وتجمع ومعرفة ما آلت إليه نتائج أفعالهم، وما ستؤول إليه الأوضاح في حال استمرارهم.

وفي صراعات الانفصال ومحاولات الاستقلال قد تتشابه القضايا وتختلف من مكان لآخر، ومن ثقافة وايدلوجية إلى أخرى. لكن تظل السمة الرئيسية التي تحدد أخلاقية ومشروعية تحرك كل فصيل؛ هي مسألة تبنيه للعنف ومدى حكمه على معارضيه ومخالفيه من شعبه، أو سبيله للتغلب على خصومه.

الاتحاد الثوري الأرمني أو حزب الطاشـناق، كانت بداية نشـأته تجمعا من اتحاد وتقارب العديد من التجمعات الأرمنية المعارضـة أو الثائرة ضـد الدولة العثمانية. ومن هذه النشـأة كان يفترض به أن يحمل سـمات كل تلك التجمعات، من يمينيين ويساريين ومعتدلي اليسار واليمين والمتشددين فكريا أو دينيا.

ظروف نشـأة يفترض بها أن تجعله كيانًا تنوعي، يسـتوعب كل الأفكار والاتجاهات ويصوغها في قالب من الفكر المنفتح ثقافيا، والديمقراطي سياسيا وتنظيميا، ويوفر لعناصره قدرا من الاستقلال الذاتي الذي ينعكس على تحركهم وفهمهم ومعالجتهم لمختلف القضايا التي تهم شعبهم الأرمني.

لكن وكما يؤكد المؤلف؛ فإن الديمقراطية لم تتعدى الشـكل فقط. فالقيادة الفعلية واللجان والأقسام المختلفة لم تكن تتشكل على أساس إداري حقيقي يعتمد توظيف ذوي الخبرة والكفاءة والمؤهلات؛ لكن كان الاختيار والدفع بالشـخص لأعلى المراتب يقوم فقط على كونه من أهل ثقة القيادات الحزبية من تيار محدد.

وأنه يوافق على القيام بكل ما يلزم من أفعال للتمكين للحزب، حتى لو كانت لا خلاق لها ولا عقيدة تظلها. واسـتأثر بالكيان ووضـع الأهداف وتحديد الأولويات مجموعة يسـميها المؤلف «الانتهازيون والإرهابيون»، ليس لها أي ضوابط تمنعها من ارتكاب الفظائع تجاه شعبها لتحقيق ما تراه مصلحة لحزبها.

وضــع القادة نصــب أعينهم من البداية الإمســاك بكل الخيوط في الحزب، وتقطيع الروابط بين الفروع والمجموعات التابعة للحزب، حتى لا يتشــكل أي كيان أو فكر داخل الاتحاد يناهض تصــرفاتهم ويزيحهم عن الســلطة. فابتدعوا تلك القواعد التي تقضـي بمنع الأعضـاء من التواصل مع بعضـهم أو مع اللجان المختلفة بحرية، كذلك تم تحجيم المعلومات المتاحة أمام الأعضـــاء، وجعلها حصرية ومقصورة على القيادات وثلة من أفراد محددون.

هذه الإجراءات جعلت إخفاء المؤامرات والجرائم المرتكبة عن أعضـــاء الحزب عملية ســهلة وميســورة؛ كذلك أدت إلى توريط أفراد الحزب بكامله في أعمال ليس لهم فيها ناقة ولا جمل، وحتى دون أن يعرفوا الأســباب التي تقف وراءها أو الفوائد التي ستعود على الحزب من تلك الأفعال.

اســتُغلت الســـرية وعدم وجود هيئة قادرة على مســاءلة القيادات؛ في الانحراف بكوادر الحزب نحو اعتماد الأســاليب الإرهابية، من أجل الحصــول على المال عبر ابتزاز أفراد الشــعب الأرمني نفســه. ثم اســتخدامها لتخويف الرجال البارزين وإبادة المسؤولين الذين يصحو ضـميرهم، ويكتشفوا عمق ما انزلقوا إليه من انحرافات لم ينخرطوا في صفوف الحزب من أجلها.

كان التخوين والوصــم بالجاســوســية وخذلان الشــعب الأرمني؛ هي تهم جاهزة لإلصاقها بكل من يرفض الانصياع، الصحفيون والكُتاب لم يسلموا من القتل حتى لو كانوا طاعنين في الســن. ودور الدين والعبادة لم تســلم من نهب ممتلكاتها

وترويع رجالها، كان الأمر في البداية عداء شيوعي للدين، ثم عندما فشلت فكرة الشيوعية رجعوا للدين ولكن كمطية فقط لتنفيذ أهدافهم كما يقول المؤلف.

الحقيقة أن من يتبنى الخداع منهجا له يصـــل به الأمر إلى خداع كل من حوله وتحوله إلى مخادع حقيقي لا يملك ســبيلا نحو الصـــدق. ففي البداية عند اندلاع الحرب العالمية الأولى قدم الحزب تطمينات كاذبة للأتراك أنه ســـيقف معهم، أو على الأقل لن يكون ضدهم. ثم ظهرت حقيقة النوايا عندما ألقى بنفسه في أحضان عدو الدولة، وحشد المتطوعون من كل فج عميق ليحاربوا الأتراك على مختلف الجبهات.

هلل الكثير من الأرمن لفعلة الحزب هذه، ثم دفعوا الثمن عندما خدعهم الحزب هم أنفسهم وانقلب على روسيا حليفتهم بتبنيه للفكر الاشتراكي، فخسر الأرمن كل ما اكتسبوه لدى الروس وأصبحوا موضع شك منهم وعداء. وعندما وصل البلاشفة الشيوعيون للسلطة، سحقوا الحزب وحاربوه وطردوه من بين ظهرانيهم.

قراءة كتاب بابازيان تقود إلى تساؤل مهم... هل سرية العمل التنظيمي تقود حتما إلى الانحراف؟ أم أن حركات التحرر الوطني يمكن أن تقوم بعملها وتصل إلى غايتها دون الانزلاق إلى تلك الهاوية التي ذكرها المؤلف في كتابه القيم؟

* * *

حركات التحرر والمقاومة بين الوطنية والانحراف

حركات التحرر الوطني ليست - كما تصفها بعض الدول أو المؤسسات الدولية - مجرد مجموعات صغيرة منعزلة أو معزولة من الأفراد، بل هي في الأصل توجه فكري أو تجمع سياسي اتخذ أنصاره شكلا تنظيميا يتبنى أي وسيلة نضالية تمليها عليه الحالة السائدة في مجتمعه للوصول إلى غايته، ويهدف في الأصل إلى أخذ السيطرة الاقتصادية والسياسية والاجتماعية لبلد أو فئة محددة داخل بلد ما؛ من أيدي قوة محتلة أو مستبدة ووضعها تحت الحكم الفعلي لهذه الشريحة المظلومة من المجتمع أو لشعب هذا البلد.

بمعنى آخر أن حركات المقاومة أو التحرر تمثل رد فعل وكفاح أمة تمردت ضد الوجود الاستعماري لغزاة؛ أو هيمنة واستبداد طائفة حاكمة ظالمة على أخرى مستضعفة. وقد يتخذ رد الفعل ذلك شكلا سلميا يتراوح بين الرفض السلبي وعدم المشاركة السياسية في بعض المواقف، وقد يصل إلى حد العصيان المدني في أعلى صوره. لكنه في كل الأحوال يلتزم خلال رفضه بالقانون والمواثيق للدولة؛ مادامت الاستجابات المضادة له من الدولة أيضا سلمية وقانونية.

وقد يتخذ شكلا عنيفا مسلحا حين ينسد أمامه أفق الرفض السلمي، أو تتحول الحكومات المضـــادة له إلى اســتعمال العنف ضـــده. كما أن اســتجابة القواعد الشـــعبية لمنهج حركة التحرر هي التي تحدد قدر ومدى تمثيل تلك الحركة للآمال الحقيقية لهذا الشعب، أو الفئة الراغبة في خلق كيان مستقل لها أو تحرير أرضها من الغاصب المحتل أو الطاغية.

بهذا المعنى الســـابق كانت حركات التحرر الوطني هي الممثل لقوة الأمل لدى الشعوب في نيل الحرية والحياة الأفضل، واستعداد تلك الشعوب لبذل كل نفيس لمقاومة الظلم والاستبداد والسعي لانتزاع حقوقهم من أيدٍ قد يبدو للرائي أنه يستحيل تراجعها وهزيمتها.

وبهذا المفهوم نشـــأت العديد من حركات التحرر الوطني عبر العالم كان بعضــها داخل الإمبراطوريات القديمة، والكثير منها داخل الدول التي خضـعت للاحتلال في العصـــر الحديث. لكن الاختلاف كان دائما في مدى قدرة تلك الحركات على الالتزام بالمبادئ التي ترفعها في البداية.

وقدرتها على مقاومة الضـــغوط والإغراءات للاســـتمرار في تمثيل آمال وطموحات شـــعبها بعيدا عن الانحراف أو الســقوط في بئر المصـــالح الحزبية الضـيقة أو المصـــالح الشــخصــية لقادتها أو حتى الالتزام بنظرية اجتماعية أو سياسية أو اقتصادية غريبة عن شعبها وتضر به.

حركات التحرير الوطنية الحديثة في أواخر القرن التاسع عشر وأوائل العشرين، كانت في غالبها رد فعل على الاحتلالات الإمبريالية، أو كما أطلق عليها الماركسيون، مرحلة احتكار رأس المال في المجتمعات الغربية وتوسعه للهيمنة على المجتمعات الغير أوروبية.

حين رأى الفكر الشيوعي أن حركات التحرر الوطني الحديثة هي في الأساس نتيجة لانتشار الرأسمالية العالمية، التي أنشأت نمطًا عالميًا للطبقة الاجتماعية بين «من يملكون» و «من لا يملكون». وأن انتشار السوق الرأسمالية خلق عالما تتصف فيه حياة الملايين من الناس بالقمع والاستغلال والعنف والظلم . والنتيجة هي أن العديد من هؤلاء الأشخاص أُجبروا على البحث عن شكل ما من أشكال الدفاع ضد هذا الوضع، وكانت حركات التحرير الوطنية هي أحد الأشكال المهمة للغاية لرد الفعل الدفاعي هذا.

كانت كيانات قامت ضد الاستغلال، ثورية من أجل نصرة الضعفاء وضد بطش الأقوياء. حركات تسعى لقلب علاقات القوة القائمة داخل المجتمعات، والإطاحة بالوضع الظالم الراهن واستبداله بوضع أكثر عدلا ومساواة.

المشاعر الوطنية دائما كانت هي صاحبة الدور الرئيسي في خلق مثل هذه الحركات التحررية، والسخط الشعبي الذي ولدوا منه كان ناجم من حب الوطن ومحاولة إيجاد الصورة الأمثل للمجتمع القائم على العدل. لكن كعادة الكثير من المثاليات التي تتحول وتتبدل حين تنزل إلى أرض الواقع، دخل عليها الخلل من الهدف الذي سعوا إليه أولا ظنا منهم أنه سيحقق لهم كل ما يريدون بسرعة وهو «**الانفصال**».

فبدأت غالب الحركات بالسعي نحو إيجاد نوع من السيطرة على شؤونهم وأوضاعهم الاقتصادية والسياسية والاجتماعية، بشكل مستقل بعيدا عن الحكومة المركزية لبلادهم و السعي إلى مزيد من الحكم الذاتي، ثم تاليا حاولوا إرساء انفصال تام وإنشاء دولة جديدة مستقلة.

كانت الأفكار الاشتراكية والدعوة إلى تبني الشيوعية والقومية بنهجها اليساري، هي التوجه الأعلى صوتا وأكثر دافعية بين كثير من مقاربات حركات التحرر الوطني. هذه الأيديولوجيات الماركسية أو الاشتراكية استطاعت أن تحظى بشعبية كبيرة كونها تخاطب وتجذب الفقراء والمضطهدين بشكل تلقائي. فالفقر والحروب المتعددة وسوء الأحوال الاقتصادية؛ كانت كلها عوامل تدفع باتجاه تبني الفكر الاشتراكي الذي ينادي بالأخذ من الغني وإعطاء الفقير، والانجذاب إلى بريق العدالة والمساواة (الخادعة) التي يَعد بها. كان الشكل الأكثر شيوعًا أو النمط المتكرر، هو مزيج من القومية والاشتراكية ومعاداة الإمبريالية والدوافع الدينية (الدين) وغيرها من الدوافع الثقافية.

وينقل بابازيان عن ذلك بيان هيئة الاتحاد الثوري الأرمني بتاريخ ٢٩ مايو ١٩١٩، والتي كانت هي الحكومة الحقيقية، «أن حزب الطاشناق بعد أن أدرك ووعي مُثله السياسية، فإن إقامة جمهورية ديمقراطية، ووفقًا للعقيدة الجوهرية (الاشتراكية) سيوجه سفينتنا باستمرار وبتصميم عبر قناة الإصلاحات الاجتماعية. إلى جنة العدالة الاجتماعية وتجاه اتحاد العمال العاملين في جميع الأمم. وحيث سيجد عمال أرمينيا، دون تمييز بسبب العرق أو العقيدة، إدراكًا لمُثل الإنسانية جمعاء.

«وبناءً على ذلك، تمت دعوة الشعب من قِبل صحافة الطاشناق إلى الانتفاض والاستيلاء بالقوة على الأراضي المملوكة ملكية فردية، والممتلكات والأراضي التابعة للكنائس.»

وهي إجراءات التأميم والمصادرة المميزة للتحرك الاشتراكي، وهي التي أفسدت ودمرت كل البلاد التي تبنت ذلك الفكر ولم تقم لها قائمة بعدها إلا بعد التخلي عنه.

ومن يقرأ ما كان مشهورا باسم بالمانيفيستو الشيوعي، أو البيان الذي يُجمل فكر وهدف ودافعية العقيدة الشيوعية، سيرى بعين اليقين المبادئ التي تحلل في سياق العمل؛ كل محرم تعارفت عليه البشرية من خداع أو سفك دماء بريئة، أو انتهازية سياسية وتحلل من كل رابط ووشيجة سوى الانتماء الحزبي الإيديولوجي.

لذا كان الفكر الشيوعي بغض النظر عن دعواه الاقتصادية أو الاجتماعية؛ هو محط استحسان وقبول وطلب الكثير من حركات التحرر الوطني الكاذبة التي رأت فيه منفذا ومخرجا من الالتزام بالقوانين والأعراف التي اتفق البشـــر عليها عبر التاريخ من حرمة اســتهداف الأبرياء أو اســتغلالهم في تنفيذ مخططات الحزب ومصالحه الخاصة.

ثم اختلط الغث بالســمين حين تبنت بعض حركات المقاومة الحقيقية – مثل بعض التنظيمات الفلسطينية الشيوعية - هذا الفكر؛ وهو ما أضفى عليه بعض الجاذبية. ثم تحركت نحوه الحركات الإرهابية المدعية واتخذته شعارا لها، فكان استخدام القنابل العشوائية والرصاص الأعمى ضد المدنيين من الجانب الخصم؛ بل ومن الجانب الموالي أحيانا بدعاوى مختلفة مثل التخوين أو دفع الشعب نحو التثوير ودعم الثوار. ولا ننســى أن ذلك كله اقترن بالفشـــل في تقديم نموذج سياسي قادر على الوصول إلى شكل دولة أو حتى كيان متماسك.

وأحيانا بإثارة غضب الخصم وإيقاعه في فخ الانتقام من الجماهير لمجرد إظهاره بمظهر الطاغية ســفاك الدماء. كلها كانت من التكتيكات التي اتبعتها التنظيمات الإرهابية تحت شــعار غاية تبرر الوسـيلة. وكثيرا ما كانت تجد تلك التنظيمات دولا وأنظمة حكم تتبناها، وتبرر لها أفعالها وتســبغ عليها صـــفات المقاومة المشروعة.

يقولون أن من يعتبره البعض مقاتلا من أجل الحرية هو نفسه إرهابي في نظر آخرون؛ وخاصة خصومه ومن يناصبهم العداء أو يعارضهم، ورغم ما يحمله ذلك من بعض الحقيقة، لكن هذا القول المأثور كثيرا ما يساء استعماله لدرجة كبيرة في تلويث المنادين بالحرية من الاحتلال أو بحق تقرير المصير لشعوب مقهورة.

ومع ذلك فبعض المنادين والمقاتلين (المزعومين) من أجل الحرية هم بالفعل إرهابيون لا خلاق لهم، فمن تقوم عقيدتهم على أن الغاية تبرر الوسيلة وأن العنف العشوائي الأعمى؛ هو السبيل الوحيد لتحقيق الغايات حتى لو كان موجها ضد العزل والأبرياء هم إرهابيون ليس لهم من الأخلاق من نصيب.

لكن هل استعادة الحقوق المسلوبة يجب أن يرتبط دائما بالعنف، أم أن الحلول السلمية فقط تكفي لنيل الحقوق وبلوغ الغايات؟ وهل يمكن استخدام العنف السياسي كسلاح دون أن يقع أصحابه في فخ الإرهاب؟ وهل المطالبة بالحكم الذاتي أو حق تقرير المصير يضفي الشرعية الأخلاقية على أفعال المنادين بذلك، أو يسمح لهم باختيار ما يشاءون من أساليب غير سلمية لحيازة الحقوق؟

* * *

المطالبة بالحق لا تبرر اللجوء إلى الباطل

حركات التحرر الوطني ليست أعمال عدوان أو غزو، وبغض النظر عن الثقافة التي تكمن وراء تكوينها أو تحركها، فإن المتعارف عليه بين الناس جميعا وبشكل عام؛ أن العنف هو شيء غير أخلاقي وغير مبرر إلا تحت ظروف معينة قاهرة كرد للعدوان أو دفاع عن النفس ومشروط بشروط مشددة.

ومن يعيشون أو يدعون العيش في ظل ظروف يغلفها الاضطهاد والظلم يجب عليهم إثبات أن جميع الوسائل السلمية المقبولة - الطعون والإجراءات التشريعية والقضائية واللجوء إلى صناديق الاقتراع والتظاهرات والمسيرات السلمية– أصبحت لا قيمة لها، أو قد أوصدت أبوابها وثبت عدم جدواها. ويجب أن يقتنع العالم أجمع أن إمكانات النضال السلمي قد استنفدت.

هذه الحالة الأخيرة لا تحدث فعليا في أي مكان إلا في ظروف الاحتلال المباشر، فعندما تحتل جيوش دولة دولة أخرى، يكون أول ما تفعله هو السيطرة على كل شيء بالقوة، ومنع الشعوب من التحرك بكل الطرق وبوسائل القمع والاضطهاد والترهيب. وفي ظل الاحتلال – مثل الوضع القائم في فلسطين المحتلة - تصبح المقاومة بكل وسائلها مشروعة، ويصبح لجوء الشعوب إلى العنف الممنهج والمنظم هو الوسيلة الفعالة - وربما الوحيدة - التي يتعين على الشعب اتباعها في القضاء على الاحتلال ووضع حد له، وهنا العنف يتم تعريفه بأنه ليس ضروريًا فحسب بل مشروعا أخلاقيًا أيضًا.

لكن أن تأتي جماعة أو تنظيم أو حركة قامت في الأصــل للتغيير الســلمي، وسط فئة من الشعب تعيش في ظل دولة موحدة، ثم تتبنى مبادئ العمل المسلح والعنيف؛ فإنها بذلك تكتب شــهادة وفاة القضـية التي تنادي بها وتدافع عنها. فما هو رد فعل الدولة المتوقع ضدهم؟

هل تســمح لهم بتفتيت كيان الدولة وبدء تيار انفصـــالي ســوف ينادي به كل من يدعي هوية مغايرة أو اضـطهاد ديني أو سياســي؟ وهل لجوء الدولة للعنف ردا على العنف أو محاولات التفتيت ســـيوصـــف بأنه شـــيء غير مبرر؟ أم سيخرج من يطلق عليه اسم «أعمال قمع» لشعب آمن؟

بالطبع حين تتخلى فئة من مكونات شــعب ما عن ســلمية مطالباتها ودعواها، فإنها بذلك تصــرح لخصــمها بأن اســتخدام العنف مقبول بين الطرفين، ولا مجال أمامها عندئذ للشكوى مما يصـيبها أو ينالها. وتكون إجابة الأسـئلة السـابقة هي أن العنف بين مكونات الشعب الواحد غير مبرر ونتائجه الوخيمة دائما تقع على عاتق من بدأ الانقسام والتمرد.

ظل الجيش الجمهوري الأيرلندي يكافح ضـــد الاحتلال البريطاني لدولة إيرلندا لعدة قرون، وكان العنف مؤيدًا من الشـــعب الايرلندي، بل ومبررا من جانب كثير من أفراد الشــعب البريطاني، ممن كانوا يرون الاحتلال فعلا جائرا في حق شعوب آمنة.

وعندما تراجعت بريطانيا عن غطرســـتها وســـمحت للجيش الجمهوري الايرلندي بالعمل السياسي العلني، وجلست معه على مائدة المفاوضات؛ تراجع العسكريون وبرز السياسيون، وسادت الوسائل السلمية وانحلت الميليشيات وألقى الرجال الســلاح، وانتهى صــراع مرير دمر حياة وحاضــر ومســتقبل الملايين من الناس.

لكن في ظل كل تلك المعارك التي دارت؛ كان المتعارف عليه بين الجميع أن أي أعمال عنف تطال المدنيين هي إرهاب محض، ولا يبرره أي مبرر ولا تظلله أي أخلاق. وظلت كل الأعمال التي قام بها أفراد من الجيش الجمهوري الايرلندي ضد المدنيين في بريطانيا وصمة عار في جبين حركته الشعبية، ولا زالوا حتى الآن يتبرؤون منها وينسبونها إلى جماعات منشقة أو متمردة كانت داخل التنظيم الكبير.

مشــكلة حركات تحرر كثيرة هي الوقوع في فخ وهم القوة؛ أي أن يعتقد أبناء التنظيم أنهم أصــبحوا قوة لا تهزم ولا يمكن القضـــاء عليها، ويبدأون في التصرف وفقا لذلك. يقول ماوتسي تونج أن «القوة تنبع من فوهة البندقية»، هذه المقولة تتبناها كل الجماعات والتيارات العنيفة، وهي ســبب تورطهم اللانهائي في العمليات التي تُســفك فيها دماء الأبرياء، ظنًا منهم أن ذلك نوع من إثبات القوة والوجود على ساحة الصراع.

وكثيرا ما يعقب امتلاك التنظيمات السـياسـية للسـلاح أن يبدأ أفرادها في التفلت منها؛ وتكوين شلل وبؤر صغيرة داخل التنظيم، وهي ما تعرف «بالتنظيم داخل التنظيم». وهي نوع من مراكز القوى التي تظل تنمو وتتفحل حتى تصـل لمرحلـة وضـع خطط التحرك، وتحديد أولويات العمل والأهداف التي يجب بلوغها، وكذلك الأشخاص أو الفئات التي يجب استهدافها بالعنف لفرض سيطرة التنظيم بالقوة.

هذه المرحلة لم ينجو منها تنظيم سـري أو عسـكري مهما كانت ثقافته أو بيئته الحاضـنة. لكن على قدر اسـتطاعة التنظيم تحجيم هذه البؤر والقضـاء عليها، تكون إمكانية بقاؤه على قيد الحياة لفترة أطول أو بلوغه غايته.

ومهما كانت ادعاءات منظرو الفكر الأيديولوجي وزعماء التطرف أو غيرهم ممن يبيحون ارتكاب جرائم العنف كوسيلة تحقق غاية، فإن العنف لا يمكن اعتباره شكلا من أشكال الاحتجاج العام التي تطلقها المعارضـة أو المقاومة السياسية ضد نظام معين أو حكومة ما. فضـحايا العنف داخل المجتمع هم غالبا ودائما من المدنيين الأبرياء، ومهما كان المبرر أو الشـعارات فإن القتل هو القتل؛ وجريمة لا تغتفر. ولا يمكن لأحد أن يدعي أن له تفويضـا أخلاقيا أو دينيا أو فكريا يمنحه حق تحديد من يموت ومن يعيش داخل المجتمع. وليس من حق أحد أن يصـنف أفراد المجتمع بين موالين ومعادين، ووسم من سيكون ضحية وتوظيف من سيكون جلادٌ ينفذ الجريمة ولا يرحم.

تم بحـمد الله

مصـادر الكـتاب

- Kapriel Serope Papazian, Patriotism Perverted- A discussion of the deeds and the misdeeds of the Armenian Revolutionary Federation, the so-called Dashnagtzoutune, Boston, Baikar Press ١٩٣٤.

- Hovhannes Katchaznouni , Dashnagtzoutiun Has Nothing To Do Anymore, Report Submitted to the ١٩٢٣ Party Convention.

- STANFORD J. SHAW, EZEL KURAL SHAW, History of the Ottoman Empire and Modern Turkey Volume II: Reform, Revolution, and Republic: The Rise of Modern Turkey, ١٨٠٨-١٩٧٥, Cambridge University Press.

- Brian Johnson , Americans Investigating Anatolia, The ١٩١٩ Field Notes of Emory Niles and Arthur Sutherland.

-Türkkaya Ataöv, The 'Armenian Question': Conflict, Trauma and Objectivity, The Turkish Yearbook, Vol. xxiv.

- Leonard Weinberg, Political Parties and Terrorist Groups, Routledge, December ٢٦, ٢٠٠٨.

- Mesut Uyar and Edward J. Erickson, Amilitary History Of The Ottomans; From Osman to Ataturk. Praeger Security International, ٢٠٠٩.

- Guenter Lewy, The Armenian Massacres in Ottoman Turkey; A Disputed Genoside, The University Of Utan Press, ٢٠٠٥.
- Donald Bloxham, THE GREAT GAME OF GENOCIDE, imperialism, nationalism, and the destruction of the ottoman Armenians, Oxford University Press, ٢٠٠٥.
- Ian Lyster, Among the Ottomans diaries from turkey in World War I, I.B.Tauris & Co Ltd, ٢٠١١.

* * *

المحـتويات

* * *